تصريح جول كامبون لليهودي الصهيوني ناحوم سوكولوف 4 يونيو/حزيران 1917م

(دراسة تاريخية)

د. عدنان أحمد حسن أبو شبيكة(*)

مقدمة:

شغلت فلسطين ومستقبلها في أثناء الحرب العالمية الأولى 1914-1918م حيزًا كبيرًا من النقاشات والمفاوضات التي كانت تجري بين الدول الأوروبية الاستعمارية، وبالأخص بريطانيا وفرنسا اللتان كانتا تخططان في ما بينهما لتقاسم ما تبقى من أراضي الدولة العثمانية في المشرق العربي، في الوقت الذي كانت فيه المنظمة الصهيونية العالمية، ومنذ انعقد المؤتمر الصهيوني الأول عام 1897م، قد وضعت مخططها الاستعماري، وجوهره إقامة «وطن/دولة لليهود» على أرض فلسطين العربية.

وجدت المنظمة الصهيونية العالمية في الحرب العالمية الأولى، فرصةً مواتية قد لا تتكرر ثانيةً، فرصةً ينبغي استغلالها على النحو الذي يؤدي في نهاية الأمر إلى تحقيق غاياتها ومخططاتها الاستعمارية؛ لذلك أخذ مفكرو الصهيونية وزعماؤها يروجون ويعددون لما ستجنيه تلك الدول الأوروبية الاستعمارية من منافع ومصالح مستقبلية حال أيدت إقامة ذلك «الوطن اليهودي» وأسهمت في ذلك، وعملوا في أثناء الحرب العالمية الأولى، ودون كلل أو مَلل، على أن يتواصلوا مع رجال السياسة البارزين والمؤثرين في بريطانيا؛ لتشجيعهم ودفعهم ناحية إقناع

(*) أستاذ التاريخ الحديث المساعد، كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة الأقصى، دولة فلسطين.

حكومتهم بجدوى وأهمية الاستجابة للأهداف والمخططات الصهيونية. ومع حرص قادة المنظمة الصهيونية العالمية الكبير لكسب رضا بريطانيا وموافقتها، فإنهم وجدوا أنفسهم - برغبة منهم، أو بدون رغبة - مطالبين بالتواصل والدخول في مفاوضات مع الساسة الفرنسيين، بغرض الحصول على وثيقة رسمية فرنسية مكتوبة، تكون مؤيدة للأماني والأهداف الاستعمارية الصهيونية في فلسطين، في وقت كانت فيه تلك القيادة الصهيونية مدركة مخططات فرنسا، الهادفة لأن تكون سوريا الكبرى جزءًا لا يتجزأ من مناطق سيطرتها الاستعمارية في المستقبل.

وبالبحث والدراسة في عدة مصادر ومراجع تاريخية، سواء العربية أم الأجنبية، تناولت الاتفاقيات والبيانات السياسية الاستعمارية التي تخص فلسطين إبَّان فترة الحرب العالمية الأولى؛ ومن ذلك - وربما كان الأبرز - تصريح بلفور البريطاني الصادر في (2 نوفمبر / تشرين الثاني 1917م)، الذي استحوذ نصه، ومدى قانونيته وغير ذلك، على نصيب واهتمام واضحَيْن من قبل عدد غير قليل من الباحثين والمختصين. ظهر أن نص ومضمون تصريح الفرنسي جول كامبون، على الرغم من ورود ذكره في عدد من الدراسات التاريخية، ومنها دراسة الباحث والأكاديمي العربي الجزائري أبو القاسم سعد الله (التصريحات الفرنسية الموالية للصهيونية: 1917-1918)، لم يحظيا بما يستحقه من اهتمام وتركيز؛ ولذلك فإن أهمية هذه الدراسة تأتي في كونها محاولة لتسليط الضوء على نص تصريح كامبون الفرنسي، ومصطلحاته الواردة، لمعرفة المدلول والسياق التاريخي الذي جاءت فيه.

نبذة عن: كامبون وسوكولوف:

أولًا- جول كامبون[1]:

محام ودبلوماسي فرنسي، عمِل في مهنة المحاماة منذ العام 1856م، وخدم في الجيش الفرنسي في أثناء الحصار البروسي لباريس في الفترة بين عامي (1870-1871م). تولى بعد ذلك، وبشكل متزايد وملحوظ، مناصب رسمية مهمة، فمثلًا، كُلف بمهام حاكم قسنطينة بالجزائر خلال الفترة (1878-1879م)، وأصبح السكرتير العام لشرطة باريس حتى عام 1882م. خلال الفترة من عام (1891-1897م) تولى منصب الحاكم العام للجزائر، ثم سفيرًا لبلاده في الولايات المتحدة الأمريكية، التي لعب فيها دورًا دبلوماسيًّا مهمًّا لكبح جماح التدخل الأمريكي في الشؤون الأوروبية، فأعلن معارضته للحرب التي خاضتها الولايات المتحدة الأمريكية في شهر (أبريل / نيسان 1889م)، ضد إسبانيا. وفي أثناء عمله سفيرًا لبلاده في واشنطن، بذل جهدًا كبيرًا في المفاوضات التي جرت بين الدولتين المتحاربتين، وهي مفاوضات أدت إلى توقيع اتفاقية بينهما في شهر (أغسطس/آب 1897م).

ونظرًا لدوره في تقوية العلاقة الفرنسية - الإسبانية بعد الحرب الأمريكية - الإسبانية، تولى جول كامبون خلال الفترة من عام (1902-1907م) مهمة سفير فرنسا بالعاصمة الإسبانية مدريد، فكان أحد من لعبوا دورًا بارزًا بمؤتمر الجزيرة الخضراء بإسبانيا، الخاص بالمغرب، والذي عقد خلال الفترة من (16 يناير / كانون ثان - 7 أبريل / نيسان 1906م). ومن بين المناصب التي تولاها قبل بدء الحرب العالمية الأولى، سفير بلاده في ألمانيا حتى شهر (أغسطس/آب 1914م)، ثم تولِّيه منصب سكرتير وزارة الخارجية الفرنسية.

ثانيًا- ناحوم سوكولوف[2]:

واحد من القادة البارزين للحركة الصهيونية، وأحد مؤرخيها. أصله من يهود بولندا، عمل صحفيًا وكاتبًا، وحتى انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول بمدينة بازل/بال بسويسرا عام 1987م، لم يكن متحمسًا للفكرة الصهيونية، لكن بعد حضوره ذلك المؤتمر، أعجب بأفكار زعيم الحركة الصهيونية ثيودور هرتزل، ورأى وجوب تشجيع عرب فلسطين على بيع أراضيهم، أو طردهم للمناطق المجاورة؛ كي تتمكن الصهيونية من تحقيق هدفها ومخططها الاستعماري. ومن مؤلفاته: (الكراهية الأزلية للشعب الخالد)، ومنها وأهمها: (تاريخ الصهيونية 1600-1918م).

تولى ناحوم سوكولوف خلال الفترة من عام (1907-1909م) منصب السكرتير العام للمنظمة الصهيونية العالمية، ونظرًا لخلافه مع ولفسون أحد القادة الصهاينة، فقد ترك ذلك المنصب، وعاد ليصبح عام 1911م عضوًا في المجلس التنفيذي الصهيوني.

زار سوكولوف فلسطين عام 1914م ليتعرف فيها على العلاقات العربية - اليهودية، فالتقى ببعض الزعامات العربية، متحدثًا لهم عما اعتبره أخوة تجمع بينهم بوصفهم ساميين، معددًا الفوائد الاقتصادية التي سيجنيها العرب حال فتحت الأبواب أمام ما أسماه سوكولوف «عودة اليهود إلى أرض فلسطين». لكن ومع ما بذله سوكولوف من جهد خلال تلك الزيارة، فإنه لم ينجح في إقناع العرب بما سعى لترويجه بينهم.

ظروف صدور الرسالة / التصريح:

اشتعلت الحرب العالمية الأولى في (28 يوليو / تموز 1914م)، فانتظمت تكتلات دول العالم الكبرى ضمن مجموعتين متحاربتين، تمثلت الأولى في مجموعة دول الحلفاء، وضمت: بريطانيا، وفرنسا، وروسيا القيصرية، ثم انضمت

إليهم في ما بعد كل من: إيطاليا، والولايات المتحدة الأمريكية. أما المجموعة الثانية فكانت تتكون من: ألمانيا، و(النمسا - المجر)، والدولة العثمانية[3].

ارتأت المنظمة الصهيونية العالمية، التي كانت مدينة برلين الألمانية مقرها حين نشبت تلك الحرب، عدم اتخاذ موقف علني وصريح لمصلحة أي طرف من أطراف الحرب؛ تحسبًا لأي ضرر قد يمس المجموعات اليهودية والصهيونية المنتشرة في أوروبا الشرقية، في وقت لم يكن فيه قد اتضح الموقف العسكري على جبهات القتال، لصالح أي طرف من الأطراف المتحاربة[4].

كانت الإدارة العليا للمنظمة الصهيونية العالمية في تلك الفترة مكونة من ستة أشخاص، هم: أوتو واربرغ، وارتور هنتكه، وهما من صهاينة ألمانيا، وفكتور يعقوبسون، وناحوم سوكولوف، ويحيئيل تشلينوف، وشمرياهو ليفين، وهم من صهاينة روسيا. ولأنه لم يكن بإمكان الأعضاء الصهاينة الروس المجيء لبرلين بعدما اشتعلت الحرب العالمية الأولى، فقد تقرر نقل مقر رئاسة المنظمة الصهيونية العالمية إلى مدينة كوبنهاغن بالدانمارك[5]. وعلى الرغم من عقد اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية العالمية عدة اجتماعات لها في العاصمة الدانماركية كوبنهاغن؛ فإن مركز ثقل النشاط الصهيوني كان آخذًا بالانتقال تدريجيًا إلى بريطانيا، حيث يقيم الزعيم الصهيوني حاييم وايزمان[6].

كان حاييم وايزمان مقتنعًا بأهمية تطوير العلاقة مع كبار الساسة والقادة البريطانيين، إيمانًا منه بوجوب جعل «المسألة اليهودية» مشكلة دولية تحتاج لحل؛ لذلك سعى تجاه كسب بريطانيا حليفًا قويًا مؤيدًا للمخططات الاستعمارية الصهيونية في فلسطين[7]، وشاركه في قناعته ومساعيه تلك، عدد من قادة الصهيونية وزعمائهم من أمثال: ناحوم سوكولوف، ويحيئيل تشلينوف اللذين غادرا روسيا قبيل فترة وجيزة من نهاية عام 1914م لينضما إلى وايزمان في لندن، التي

لم تقتصر المساعي داخلها - أي لندن - على أولئك الزعماء اليهود الصهيونيين، بل لقد ساندهم عدد من الكُتاب المؤيدين للصهيونية، الذين كانوا يروجون لفكرتها ومخططاتها الاستيطانية الاستعمارية، من خلال كتاباتهم التي وجهوها للساسة والرأي العام البريطاني، ومن ذلك: المحامي البريطاني نورمان بنتويتش، والروائي الأمريكي بول جودمان، والمؤرخ البريطاني ألبرت مونتفيور هامسون، وغيرهم[8].

من بين الاجتماعات المهمة التي عقدت بين شخصيات صهيونية ومسؤولين بريطانيين، كان ذلك الاجتماع الذي جرى مع السياسي البريطاني مارك سايكس[9] في لندن (7 فبراير / شباط 1917م)، والذي شارك فيه من القادة الصهاينة كل من: حاييم وايزمان، وناحوم سوكولوف، واللورد روتشيلد، وهربرت بنتويتش، وجوزيف كاون، وموسس / موسى غاستر، وجيمس دي روتشيلد، وهاري سيشر، وهربرت صموئيل[10].

افتتح الحاخام موسس / موسى غاستر - وهو يهودي من أصل روماني - ذلك الاجتماع - الذي عقد في بيته - متحدثًا ومبينًا لمارك سايكس تصوره لما ستجنيه وتحققه بريطانيا العظمى من هيمنة وتفرد في منطقة البحر الأبيض المتوسط؛ إذا ما توصلت مع المنظمة الصهيونية العالمية لاتفاق يؤدي إلى إنجاز الهدف والمخطط الصهيوني في فلسطين. وتحدث في الاجتماع نفسه هربرت صموئيل، الذي أشار لأماني يهود العالم بإقامة دولة لهم في فلسطين. أما حاييم وايزمان فطلب من مارك سايكس أن تعمل الحكومة البريطانية على فتح أبواب فلسطين، وعدم غلقها نهائيًا في وجه الاستيطان اليهودي الصهيوني[11]. ومع ما أبداه مارك سايكس لمجتمعيه، من عطف وعدم معارضة لأهدافهم الاستعمارية في فلسطين، فقد أفادهم بأن الأمر يستدعي منهم عرض مشروعهم على الدول الأوروبية الأخرى المتحالفة مع بريطانيا، وبالأخص فرنسا[12] التي

ترغب وتخطط لأن تكون لها كلمتها في فلسطين، وعبر سايكس في الوقت نفسه عن رأيه للمجتمعين بخصوص رغبة الفرنسيين تلك بقوله: «ليسوا مؤهلين لأي شي هناك [أي في فلسطين]»[13].

في اليومين التاليين؛ أي (8 و 9 فبراير / شباط 1917م)، وبصحبة سايكس، تقابل السياسي الفرنسي فرانسوا جورج بيكو، مع الزعيم الصهيوني ناحوم سوكولوف في السفارة الفرنسية بلندن. وفي المقابلة أخبر سوكولوف جورج بيكو بأنه، وكمقدمة للوصول إلى هدف إقامة «وطن/دولة يهودية»؛ فإن الأولوية بالنسبة للمنظمة الصهيونية العالمية هي العمل على أن تُدار فلسطين من قبل بريطانيا[14]، كما أكد سوكولوف على تعلق اليهود بما أسماه ثقافتهم الخاصة بوصفهم «أُمَّة»، وأشار إلى أن استقرارهم واستيطانهم أرض فلسطين سيكون زراعيًّا، كحال استقرار الإنجليز، والفرنسيين في كندا، والبوير في جنوب أفريقيا، وبالتالي فإن الأرض هي أحد الأسس المهمة لبناء «الأمة اليهودية» فيها. وهنا نبه بيكو سوكولوف إلى أن الأمر سيصطدم بالشعور الفرنسي الشعبي القوي؛ إذ يفضل ما يقارب 95٪ منه أن تكون فلسطين جزءًا لا يتجزأ من المستعمرات الفرنسية[15]، وأكد بيكو أن مسألة الحصول على موافقة صريحة وتأييد فرنسي رسمي للمخططات الصهيونية تجاه فلسطين، ستصطدم بمن أسماهم «مجموعة سوريا داخل الحكومة الفرنسية»؛ أي الأعضاء والساسة الذين يطالبون بالسيطرة الفرنسية على كل سوريا الكبرى والتي منها فلسطين[16]، كما أكد بيكو أن تحديد مستقبل فلسطين هو أمر لا بد من مناقشته مع إيطاليا[17].

لم يحصل ناحوم سوكولوف في مقابلته تلك التي أجراها مع جورج بيكو على رد رسمي فرنسي واضح وصريح؛ وكل ما استطاع أن يحرزه حينها، هو وعد

شفوي بعرض الأمر ومناقشته مع الحكومة الفرنسية. لذلك وحرصًا منه كي يحصل على موافقة فرنسية في ما يخص مخططات الصهيونية تجاه فلسطين، سافر سوكولوف إلى باريس، فعقد اجتماعًا آخر مع بيكو في (22 مارس / آذار 1917م)، وقد أسفر هذا الاجتماع عن تصريح شفوي من بيكو لسوكولوف يقول فيه: إن الحكومة الفرنسية تنظر بشكل إيجابي، ولا تعترض على البرنامج الصهيوني، وأن رسالة تليغرافية بهذا الخصوص ستُرسل لحكومتي روسيا، والولايات المتحدة الأمريكية[18].

ارتكزت قناعة الفرنسي جورج بيكو في ما يخص جدوى مشروع الاستيطان اليهودي الصهيوني في فلسطين بالنسبة لبلاده، على ما كان يعدده ويشرحه للساسة الفرنسيين حول ما يمكن أن تحققه فرنسا من مصلحة إذا وافقت على ذلك المشروع. ومما قاله بيكو نصًا في هذا الصدد، وفقًا لما أورده المستشرف الفرنسي هنري لورانس[19]: «يتعلق الأمر بالقيام تحت سيادة دولة عظمى، تكوين نوع من جماعة قومية يهودية في فلسطين من خلال تمكين الإسرائيليين من الاستقرار في البلد، ومن حيازة الأراضي ... فالمسألة التي تعد مطروحة علينا من الآن فصاعدًا لم تعد مسألة ما إذا كان من المرغوب فيه قيام الاستيطان المقترح، بل بالأحرى مسألة ما إذا كان مناسبًا لنا في هذه اللحظة الراهنة أن نعارض جهارًا نهارًا جميع العناصر اليهودية بإعلان أننا خصوم لمطالبها، ومن ثم بأن نجازف بأن نجد يومًا ما على أبواب سوريا أعداءً لا يمكن قهرهم. والحال أنه في هذه الظروف وافق السيد جول كامبون في (9 أبريل / نيسان) على مقابلة السيد سوكولوف بحضور السيد دو مارجيري وحضوري، لأجل إبلاغه بأن الحكومة الفرنسية لا يمكنها أن تنظر بعين غير راضية إلى مطالب تميل إلى تحرير جنس مضطهَد...».

بعد أن أجرىٰ سوكولوف مفاوضاته مع جورج بيكو بالعاصمة الفرنسية باريس، سافر إلىٰ روما لمقابلة المسؤولين الإيطاليين، فأجرىٰ في (4 مايو / أيار 1917م) مقابلة مع بابا الفاتيكان بنديكت الخامس عشر، الذي وإن أبدىٰ تعاطفًا مع ما يبذله اليهود الصهيونيون من جهد لـ «العودة إلىٰ فلسطين»، فإنه ودون أدنىٰ حديث أو إشارة منه عن مقدسات غير المسيحيين، شدد علىٰ وجوب ألا يكون تحقيق المشروع الاستيطاني الصهيوني في فلسطين، علىٰ حساب الأماكن الدينية المسيحية المقدسة. وبهذا الصدد طمأن سوكولوف البابا، وأخذ يعمل علىٰ تبديد مخاوفه[20].

خلال الفترة من(12-18 مايو / أيار 1917م) اجتمع ناحوم سوكولوف مع أنزو سيريني ممثل اليهود في إيطاليا[21]، ومع باولو بوزيلي رئيس وزراء إيطاليا، الذي أكد أن الحكومة الإيطالية[22]، جنبًا إلىٰ جنب مع دول الحلفاء، ستدعم البرنامج الصهيوني في فلسطين، وستسعىٰ لإنجاحه، وبهذا الخصوص فإنها - أي الحكومة الإيطالية - ومن خلال رسائل سترسلها، ستبلغ موقفها لكل من الحكومتين الفرنسية والروسية، والمنظمات الصهيونية في الولايات المتحدة الأمريكية[23].

عاد ناحوم سوكولوف مرة أخرىٰ إلىٰ باريس، حيث قام بإطلاع المسؤولين الفرنسيين علىٰ نتائج زيارته لروما، وفي المقابلة التي جرت في (28 مايو / أيار 1917م)، أبدىٰ ألكسندر جوزيف ريبو رئيس الوزراء الفرنسي لسوكولوف تعاطف بلاده وتأييدها لأهداف الصهيونية ومخططاتها في فلسطين، وهو تعاطف وتأييد عُبر عنه في (الرابع من يونيو / حزيران 1917م) برسالة وجهها جول كامبون سكرتير وزارة الخارجية الفرنسية وباللغة الفرنسية[24] لليهودي الصهيوني ناحوم سوكولوف، هذا نصها بالعربية[25]:

«سيدي: إنه من الجيد منك أن قدمت المشروع الذي تكرس فيه كل مجهوداتك، والذي هدفه تطوير الاستعمار اليهودي في فلسطين. أنت تُقدر أنه مع ضمان استقلال الأماكن المقدسة، سيكون من العدل أن نقوم، ومن خلال الدول المتحالفة، بإحياء الجنسية / القومية اليهودية على أرضها التي تخصها، والتي نُفي منها شعب إسرائيل منذ قرون عديدة مضت. إن الحكومة الفرنسية التي دخلت الحرب الحالية دفاعًا عن شعب هُوجم ظلمًا، وما زالت مستمرة في نضالها لضمان انتصار الحق على القوة، لا يمكنها إلا أن تتعاطف مع قضيتكم التي يرتبط انتصارها بانتصار الحلفاء».

احتوت رسالة/تصريح جول كامبون لليهودي الصهيوني ناحوم سوكولوف على مصطلحات وعبارات تتطلب إلقاء الضوء عليها، خاصة أن بعضها ذات دلالة مباشرة أو غير مباشرة من حيث المعنى والهدف، وبعضها جاء مرتبطًا بسياق تاريخي سابق للصدور بسنوات بعيدة، بل إن في بعضها ما يمكن تسميته «مغالطات تحتاج لمناقشة».

أولًا- المرسل والمُستقبِل للتصريح:

جاء التصريح الفرنسي في شكل رسالة صادرة عن وزارة الخارجية الفرنسية ممثلةً بسكرتيرها كامبون؛ إلى اليهودي الصهيوني ناحوم سوكولوف الذي لا يتعدى كونه أحد قادة المنظمة الصهيونية العالمية، أي إنه لم يكن متمتعًا بصفة رسمية محلية أو دولية، كما أن توجيهها له دون غيره من قادة الصهيونية إنما جاء انسجامًا مع ما بذله من جهد، ولعبه من دور داخل فرنسا، ولدى دوائر اتخاذ القرار فيها. وهذا التصريح لأنه صادر عن وزارة الخارجية الفرنسية فإنه عبر

عن موقف رسمي للجمهورية الفرنسية حيال أرض لم تكن فرنسا-من الوجهة القانونية والتاريخية- مؤهلة لأن تتصرف بها بأي شكل من الأشكال، وبصرف النظر عن كون الأمر جاء استجابة لمساعٍ صهيونية داخلها، فإن فرنسا أعطت لنفسها حق السماح للآخرين - أي اليهود - بما أسمته « إعادتهم» إلى أرض دون أدنى اكتراث برأي مالكيها وبمستقبل أهلها وسكانها العرب، علمًا أن التصريح الفرنسي صدر في الوقت ذاته الذي كانت فيه فلسطين خاضعة للحكم العثماني.

ومن المهم الإشارة إلى أن ما جاء وذُكر سابقًا حول حال تصريح كامبون، من حيث عدم أهلية فرنسا القانونية التصرف بأرض فلسطين لكائن من كان، يتشابه وبدرجة كبيرة مع حال تصريح بلفور الذي صدر في (2 نوفمبر / تشرين الثاني 1917م)، أي في ما بعد كامبون؛ فتصريح بلفور الذي نص على إقامة «وطن قومي لليهود» في فلسطين، صدر حينها عن وزير خارجية بريطانيا آرثر جيمس بلفور للثري اليهودي روتشيلد، الذي افتقد هو كذلك لأي صفة رسمية محلية أو دولية؛ والحكومة البريطانية وبإصدارها للتصريح، إنما تصرفت بأرض لا تملكها، ومنحتها لمن لا يستحقها، ما يعني تناقض ذلك مع المبادئ القانونية، والحقوق التاريخية العربية في فلسطين وخرقه لها[26].

ثانيًا- تطوير فكرة الاستعمار اليهودي في فلسطين:

كانت الهجرة اليهودية إلى فلسطين قبل النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، وعلى الأغلب ذات نزعة دينية، لها علاقة بالعيش في الأرض المقدسة. ومنذ ستينيات القرن نفسه أخذ عدد من رجال الدين والمفكرين اليهود يدعون لهجرة يهود العالم إلى فلسطين، تمهيدًا لإقامة كيان لهم فيها، وكان من بينهم - على سبيل المثال - الحاخام اليهودي الألماني «تسفي هيرش كاليشر»،

الذي أصـدر كتابًا في عام 1862م بعنـوان (البحث عن صهيـون)، وكذلك، «موسس/موسي هس» اليهودي الألماني صاحب كتاب (روما والقدس)[27]. ومع ما تناوله هذان اليهوديان في كتابيهما من آراء وتعاليم دينية تخص فلسطين وقدسيتها بالنسبة لليهود، فقد بقيت تلك الكتابات لدىٰ يهود العالم، ولما يقارب عشرين عامًا، في حالة من الركود، والتأثير المحدود؛ أي حتىٰ مطلع فترة الثمانينيات من القرن التاسع عشر، وهي فترة بدأت بتأسيس «جمعية أحباء صهيون» عام 1882م، وبانطلاق موجة المهاجرين الروس الأولىٰ إلىٰ فلسطين[28].

جاء انعقاد المؤتمر الصـهيوني الأول عام 1897م ليكون بمثابة بداية الانطـلاق نحو استيطان صـهيوني منظم له أهدافه السياسـية الواضـحة في فلسطين[29]. وجاء ذلك المؤتمر الصهيوني الأول الذي عقد بمدينة بازل/بال بسويسرا برئاسة الصحفي النمساوي، والزعيم اليهودي الصهيوني ثيودور هرتزل صاحب كتاب (الدولة اليهودية)، ليضع برنامج الصهيونية والخطوات اللازمة لتحقيق هدف إقامة «وطن قومي لليهود في فلسطين»، وكانت علىٰ النحو الآتي[30]:

1- ترقية/ تطوير الاستيطان الصهيوني في فلسطين بشكل ممنهج ومنظم من خلال المزارعين، والعمال، والحرفيين/الصُناع اليهود.

2- تنظيم اليهود في هيئات محلية تكون ملتزمة بقوانين كل بلد تُؤسس فيه تلك الهيئات.

3- تعزيز الوعي والمشاعر القومية عند اليهود.

4- البدء باتخاذ خطوات تجاه حكومات الدول، من أجل تحقيق هدف الصهيونية بالعمل علىٰ نيل موافقتها ومساعدتها.

حاز الجهد الذي بذله اليهودي الصهيوني ناحوم سوكولوف، للحصول علىٰ موافقة فرنسية رسمية مكتوبة ومؤيدة للمشروع الاستيطاني الصهيوني الوارد

هدفه وبرنامجه سابقًا، على الثناء والإشادة من قبل جول كامبون، الذي استخدم في تصريحه مصطلح (ترقية/ تطوير) الوارد أعلاه في البند الأول، أو الخطوة الأولى من برنامج مؤتمر (بال/بازل) الصهيوني عام 1897م، ما يعني أن ذلك جاء متفقًا مع متطلبات المرحلة الاستعمارية، ومع ما كانت تسعى المنظمة الصهيونية العالمية لتحقيقه، من نيل اعتراف فرنسا وموافقتها، وذلك بأهمية أن تكون أبواب فلسطين مفتوحة أمام الهجرات اليهودية الصهيونية المنظمة، وهو ما يعني أن الصهيونية استطاعت أخذ موافقة رسمية من إحدى الدول الأوروبية الشريكة في التحالف الاستعماري، الذي كانت تقوده بريطانيا خلال الحرب العالمية الأولى، وبما ينسجم مع الخطوة الرابعة الواردة أعلاه في برنامج ذلك المؤتمر الصهيوني الأول.

ومما يعزز الرأي السابق، تعليق سوكولوف نفسه على الرسالة/التصريح بعد صدوره، وذلك في كتابه (تاريخ الصهيونية) الذي قال فيه[31]: من هذا البيان (تصريح جول كامبون) يمكن أن نرى ونفهم الآتي:

1- أن المسألة الصهيونية أصبحت معترفًا بها بوصفها واحدة من الأمم المضطهَدة.

2- الاعتراف والقبول «بالجنسية/القومية اليهودية وحقها التاريخي» في فلسطين.

3- دعم الحكومة الفرنسية للحركة الصهيونية.

ثالثًا- ضمان استقلال الأماكن المقدسة في فلسطين:

حين ضم السلطان العثماني سليم الأول بلاد الشام خلال عام 1516م، ومصر خلال عام 1517م لدولته، جدد للفرنسيين الامتيازات التجارية التي كان قد منحها إياهم المماليك. ومن بعده أكد السلطان سليمان الأول (القانوني)

على تلك الامتيازات من خلال توقيعه اتفاقية بذلك في (فبراير / شباط 1553م)، مع ملك فرنسا فرنسوا الأول؛ فكانت فرنسا هي أول دولة غربية تحصل على امتيازات تجارية في كل أنحاء الدولة العثمانية، ما جعل دولًا أوروبية أخرى، مثل: إنجلترا، وهولندا، وغيرهما، تحذوان حذو فرنسا[32].

ومن الناحية الدينية ارتبطت الدول الأوروبية بعلاقات ودية مع مسيحي بلاد الشام، ومنها فلسطين. ففرنسا ربطتها علاقات قديمة بالمسيحيين الكاثوليك في كلٍّ من لبنان وفلسطين وغيرها من المناطق العربية. أما روسيا فكانت تعد نفسها الراعية التقليدية لمصالح المسيحيين الأرثوذكس وأماكنهم المقدسة. وكثفت بريطانيا وبروسيا دعمهما للكنيسة البروتستانتية ونشاطها في فلسطين، في الوقت الذي كانت فيه فرنسا تراقب بحذر نشاط الأسقفية البروتستانتية، والقنصلية البريطانية التي تم افتتاحها بمدينة القدس منذ عام 1838م[33].

كان للارتباط الديني التاريخي القديم بين مسيحي فلسطين ودول أوروبا أثره على المقدسات المسيحية في فلسطين، من حيث نشوب أزمة بين فرنسا وروسيا عُرفت بـ«أزمة إدارة الأماكن المسيحية»، وبالأخص كنيسة المهد التي شيدها الإمبراطور الروماني قسطنطين الكبير في القرن الرابع الميلادي بمدينة بيت لحم، فوق المكان الذي ولد فيه السيد المسيح عليه السلام. وقد بدأت بوادر تلك الأزمة الدينية بين فرنسا وروسيا حول المقدسات المسيحية في فلسطين، تظهر تدريجيًّا منذ وقت مبكر. ومع سيطرتها على فلسطين، حاولت الدولة العثمانية أحيانًا حفظ التوازن بين تناقض مطالب وادعاءات الكاثوليك الذين ادعت فرنسا حمايتها لهم، والأرثوذكس الذين ادعت روسيا حمايتها لهم، في وقت كانت فيه الكنيسة الأرثوذكسية هي الأقوى تأثيرًا بين الكنائس المسيحية داخل الدولة العثمانية؛ كونها كانت ممثلة لأكثر من ثلاثة عشر مليونًا من رعايا السلطان[34].

حصلت فرنسا إبان حكم السلطان العثماني محمود الأول، وبمقتضى معاهدة عام 1740م، على حق المسيحيين الكاثوليك بإقامة كنائس، وأديرة في الأراضي المقدسة، وعلى حق حماية القساوسة الكاثوليك داخل الدولة العثمانية. أما روسيا، ووفقًا لمعاهدة كوتشوك كينارجا عام 1774م، فحازت على امتيازات للمسيحيين الأرثوذكس شبيهة بتلك التي مُنحت للكاثوليك. ونظرًا لتوتر العلاقات الفرنسية العثمانية نتيجة احتلال الفرنسيين لمصر (1798-1801م)، أضحت الكنيسة الأرثوذكسية في القدس الأكثر تفوقًا على غيرها، فازدادت الامتيازات الدينية الممنوحة للأرثوذكس. ومع ذلك، تمكنت الحكومة الفرنسية بعد عام 1842م من استعادة نفوذها الديني تدريجيًا، وكان من بين ذلك أن دعم الباب العالي إرسال بطريرك كاثوليكي في القدس مقيمًا بها[35]، كما حصلت فرنسا عام 1852م، على امتيازات لرجال الدين الكاثوليك في فلسطين، بموجب فرمان صدر عن السلطان «عبد المجيد الأول»، أهمها تَسلم المفاتيح الثلاثة الخاصة بالأبواب الرئيسة لكنيسة العذراء، والسراديب الكائنة تحت كنيسة المهد بمدينة بيت لحم[36].

أدى قرار منح رجال الدين الكاثوليك امتيازات دينية خاصة بهم في الأماكن المسيحية المقدسة، إلى ردَّة فعل غاضبة من طرف روسيا[37] التي طالبت الدولة العثمانية، وبعد مفاوضات معها بالتراجع عن ما تم إقراره عام 1852م، وطالبت بالاعتراف لها - أي روسيا - بحق حماية المسيحيين الأرثوذكس والأماكن المقدسة، حماية مطلقة غير مُقيدة. ونظرًا لرفض السلطان العثماني الاستجابة لذلك الطلب، وجدت روسيا فرصتها كي تحقق رغبتها وأطماعها بالأراضي العثمانية، فتذرعت بالمسألة الدينية، ودخلت عام 1853م في حرب مع الدولة العثمانية عُرفت بـ (حرب القرم)، وهي حرب اتخذت حينها فرنسا، وكذلك بريطانيا، موقفًا معاديًا من روسيا[38].

استنادًا لما سبق سرده، ونظرًا لاستمرار تمسك فرنسا بما عدَّته حقوقًا دينية تاريخية لها في فلسطين، تقوم على أساس منح حمايتها للمسيحيين الكاثوليك والمقدسات المسيحية، أتى تصريح جول كامبون منسجمًا مع موقف بلاده التاريخي؛ فاشترط احترام قدسية، الأماكن المقدسة وخصوصيتها، ما يعني أن فرنسا وإن أبدت عدم ممانعتها لما يُسمى «إعادة مجد اليهود القديم»، فإنها في الوقت ذاته أعلنت عن استمرار تمسكها بدورها الديني المسيحي الكاثوليكي في فلسطين بوصفه حقًّا تاريخيًّا وتقليديًّا لها، وما يعني كذلك أن أي تطور لصالح الاستيطان اليهودي الصهيوني لن يُغيِّب، ويجب ألا يكون على حساب أي دور لفرنسا أو نفوذ لها في فلسطين.

رابعًا- إحياء الجنسية / القومية اليهودية[39] «على أرضها التي نُفي منها شعب إسرائيل منذ قرون»:

تناولت الأوساط الرسمية الفرنسية، وقبل تاريخ صدور تصريح كامبون بنحو قرن من الزمان، فكرة «عودة القومية اليهودية» إلى أرض فلسطين؛ إذ إن بونابرت (1769-1821) قائد الحملة الاستعمارية على مصر وبلاد الشام، كان قد خاطب يهود آسيا وإفريقيا في عام 1798م، موجهًا لهم نداءً - هناك مشكوك في صحة صدوره ووجوده من الأساس[40] - يحثهم فيه على الالتفاف حوله، ومساندته؛ بغية «إعادة مجدهم القديم في القدس»[41]. كما وجه لهم نداء آخر في (20 أبريل / نيسان 1799م)، أي في أثناء فَرْض حصاره على مدينة عكا، ومن بين ما تضمنه نص نداء نابليون بونابرت الذي وجهه لليهود[42]: «من بونابرت، القائد العام لجيوش الجمهورية الفرنسية في أفريقيا، وفي آسيا، إلى ورثة فلسطين الشرعيين. أيها الإسرائيليون، يا من تشكلون أمة فريدة، يا أيها الذين حرمتهم شهوة الفتح والاستبداد على مدار آلاف من السنين، من أراضي أجدادهم

وَحْدَهم، ولكن ليس من اسمهم ووجودهم القومي... إن فرنسا تنتقم لعارها ولعار أبعد الأمم التي تُركت منسية وقتًا طويلًا تحت أغلال العبودية، وتنتقم للعار الذي حاق بكم خلال ألفي سنة. ومع أن الوقت والظروف لا تبدو مواتية للمناداة بمطالبكم ولا للتصريح بها، وفي الوقت الذي يبدو أنكم، على العكس من ذلك، تُدفعون إلى التخلي عنها نهائيًا، فإن أمة [فرنسا] تعرض عليكم، في هذا الوقت بالذات، وبعكس كل التوقعات، تراث «إسرائيل»... ألا هُبُّوا، فها قد سنحت الفرصة التي قد لا تتكرر ثانية خلال ألفي سنة، من أجل المطالبة باسترداد حقوقكم المدنية ... ومن أجل المطالبة باستعادة كيانكم السياسي كأمة بين الأمم ... انهضوا! أظهِروا أن جبروت ظالميكم الذي كان كاسحًا في وقت من الأوقات لم يُخمِد شجاعة أحفاد أولئك الأبطال الذين كان تحالفهم الأخوي شرطًا لإسبرطة وروما، بل إن كل سنوات المعاملة الاستعبادية الألفين [خلال ألفي عام] لم تنجح في خنقها».

وفي السياق الفرنسي القائل بـ «عودة اليهود من منفاهم وشتاتهم إلى فلسطين»، عرض اليهودي الألماني موسس هس في كتابه (روما والقدس - الرسالة الثانية عشرة) أفكارًا تخص مستقبل اليهود؛ كان قد طرحها الفرنسي إرنست لاهاران / إيرنسبت كاهرين في كتاب له صدر عام 1860م باللغة الفرنسية، عنوانه (السؤال حول المسألة الشرقية: إعادة إحياء القومية اليهودية). وقد دعا إرنست لاهاران - الذي كان سكرتيرًا لملك فرنسا نابليون الثالث - العالم الغربي المتحضر لأن ينتبه لأهمية ما زعمه «بعث اليهودية القديمة وإحياءها» في المدينة المقدسة، وفي كل فلسطين؛ لأنها حسب زعمه أرض الآباء والأجداد بالنسبة ليهود العالم. كما زعم لاهاران أن خلاص فلسطين من تخلفها، ومما هي فيه من تدنٍّ حضاري يستدعي ويتطلب بذل جهد مشترك من كل يهود العالم[43].

لم يقتصر أمر دعوة «إعادة اليهود إلى أرض الآباء والأجداد» على بعض الزعماء والساسة الفرنسيين، بل شاركهم في ذلك مثلًا الروائي والكاتب المسرحي ألكسندر دوماس الذي فرض على إحدى شخصيات مسرحيته (زوجة كلاود) التي مُثلت عام 1873م القول: «نحن نريد - والقصد هنا اليهود - أن نكون شعبًا، أمَّة لنا وطننا الثابت من جديد»[44].

ما ورد في تصريح جول كامبون من حديث عن «بعث القومية اليهودية وإحيائها» في فلسطين من جديد، جاء متناغمًا ومنسجما مع ما أسماه عبد الوهاب المسيري (فكرة الاسترجاع) التي سادت أوروبا في القرن السادس عشر الميلادي؛ إذ ظهرت حركة استرجاع مسيحية بروتستانتية (صهيونية غير يهودية)، طالبت بإعادة اليهود إلى ما ادعته «أرضهم الأم»، كي يتسنى هدايتهم وتحويلهم للمسيحية كشرط لحلول العصر الألفي السعيد، أي العصر الذي سيحكم فيه المسيح المخلِّص العالم مدة ألف عام في وقت يسود فيه السلام والطمأنينة. وأشار المسيري إلى أن استجابة يهود العالم للفكر الاسترجاعي كان فاترًا ولوقت طويل، لكن - مع انتصاف القرن التاسع عشر - ومع تفاقم أوضاع اليهود في شرق أوروبا، وانتشار الفكر الاستعماري، استجاب بعض المفكرين اليهود في أوروبا، وتفاعلوا بإيجابية مع تلك الفكرة[45].

كانت مسألة ما تُسمى «بعث القومية اليهودية/إعادة اليهود» إلى فلسطين، أو «الاسترجاع اليهودي» بالنسبة للساسة والمسؤولين الرسميين الفرنسيين، انعكاسًا لمصلحة فرنسية بالمقام الأول، فالفرنسي جين بايتيست كولبرت (توفي عام 1683)، كبير وزراء الملك لويس الرابع عشر، وأحد دعاة المركنتالية - نظام اقتصادي احتكاري - كان قد نادى من قبل بضرورة إفادة بلاده اقتصاديًّا من اليهود[46]. وبونابرت من بعده، عندما وجه نداءه - المشكوك في صحته - الذي خاطب فيه يهود العالم، إنما كان يسعى لدفع الممولين اليهود[47] كي يقدموا قروضًا

مالية للحكومة الفرنسية، التي كانت تعاني وقتها من أزمة وضائقة مالية، وكان يريد، أي - بونابرت - من اليهود أن يبثوا الفوضى ويشعلوا الفتن في المناطق التي يخطط الجيش الفرنسي لاحتلالها في أثناء حملته العسكرية. وسعى بونابرت - وفشل في ذلك - لأن يحصل على تأييد اليهودي حاييم فارحي الذي كان مواليًا لأحمد باشا الجزار، ومتوليًا في عكا مهمة المسؤول المالي[48].

وإرنست لاهاران المسيحي الكاثوليكي الليبرالي الذي دعا في كتابه إلى «إعادة اليهود لأرض الآباء والأجداد»، ملامسًا بذلك الفكرَ الدينيَّ اليهوديَّ، أشار في الوقت ذاته وبمنطق المصلحة والمنفعة المادية إلى ما ستجنيه أوروبا من مكاسب في حال أقيمت دولة يهودية بالمنطقة العربية، ومن ذلك فتح آفاق جديدة للصناعة الأوروبية، إلى جانب إفساح الطريق أمام وصول الحضارة الأوروبية لتلك المنطقة العربية التي اقترحها كمكان لإقامة الوطن / الدولة اليهودية إذا جرى ما أسماه لاهاران «إعادة الأمة اليهودية القديمة لأرض الآباء والأجداد»[49].

على كل، وسواء كان الأمر يخص نداء بونابرت (المشكوك في حقيقة صدوره)، أو ما نادى به إرنست لاهاران، أو غيرهما، فإنه يمكن القول إن تصريح جول كامبون جاء ليكون جزءًا من سياق فرنسي تاريخي سابق، وكامبون لم يأتِ بجديد في تصريحه من حيث استخدام مصطلحات تُعبر عن زَعْم بعلاقة دينية، وتاريخية تربط اليهود بأرض فلسطين. فمضمون تصريح كامبون، كما هو حال نداء نابليون، ورأي إرنست لاراهان لا يعكس، وعلى الأرجح، منطلقًا دينيًا صرفًا لفرنسا ذات الغالبية المسيحية الكاثوليكية، غير المتفقة حينها مع الزعم والادعاء الديني والتاريخي اليهودي تجاه فلسطين، فاليهودي الألماني موسس / موسى هس تحدث في كتابه (روما والقدس) عن الموقف العدائي التاريخي للكنيسة الكاثوليكية تجاه يهود أوروبا، وأشار إلى ما أسماه «حملة منظمة قادها

البابا إرنست الثالث (1196-1216) ضد اليهود»، والتي كان من بين أشكالها إلزام اليهود بارتداء ملابس، ووضع علامات تميزهم عن المسيحيين[50].

وفي كتابه الذي تناول فيه خبايا أسرار اليهود، وخطورتهم في فرنسا ومصر، عرض الكاتب الفرنسي جورج كورنيليان، موقف اليهود في فرنسا من الكنيسة المسيحية. ومما جاء فيه قولهم[51]: «لا عدو لنا [أي نحن اليهود] ألَدّ، ولا قوة لدينا أشد من الكنيسة المسيحية، فلا نهتم بغيرها، ولا نخشى بأسًا غير قوتها، فقد أصبحت لها النفوذ الأكبر في المسكونة ... فلنتذرع بالصبر، ونتسلح بالشجاعة والثبات، ونسعى جهدنا وراء تخفيف نفوذها وإسقاط شوكتها ... فلنبدأ أولًا بكسر شوكة رؤسائها، وضياع نفوذ كبارها، فنحد بقدرهم، وندخل الشكوك والفساد في معتقداتهم، ونوجه سهام الاحتقار والهزؤ على سيرتهم، واطّلاعنا على الأسرار يُرينا وجه التنديد، ويفرق لنا ما بين الرأي الفاسد والسديد، فنأخذ الحية من رأسها، ونتوصل إلى إخماد أنفاسها».

جاء تصريح جول كامبون ليعكس بالضرورة مصلحة استعمارية لفرنسا في فلسطين وعموم بلاد الشام (سوريا الكبرى)، وذلك إبان الحرب العالمية الأولى (1914-1918م)، في ما أنه، ومن الوجهة والزعم الديني والتاريخي اليهودي، فقد كانت فرنسا «أكثر انغلاقًا من إنجلترا البروتستانتية تجاه مفهومي «الشعب المختار والأرض الموعودة». وهنا تجدر الإشارة إلى أنه وفي الفترة نفسها التي دعا فيها إرنست لاهاران، إلى ضرورة أن تعمل أوروبا من أجل «إعادة اليهود إلى فلسطين»، فقد ظهرت دعوات فرنسية أخرى طالبت بضرورة إفساح المجال للاستيطان المسيحي الكاثوليكي فيها[52].

ومما يدل على أن موقف فرنسا المسيحية الكاثوليكية تجاه ما يُسمى «عودة اليهود إلى فلسطين» لم يكن نابعًا من رؤية وفكر ديني، [53] أنه في (26 يناير /

كانون ثان 1904م)، وفي أثناء مقابلته للزعيم الصهيوني ثيودور هرتزل، رفض بابا الفاتيكان بيوس العاشر وهو أعلى سلطة دينية مسيحية كاثوليكية، منح التأييد لاستيطان اليهود وهجرتهم إلى فلسطين[54].

وحول الاستغلال الأوروبي الغربي للبُعد والفكر الديني اليهودي تجاه فلسطين، كتبت ريجينا الشريف قائلةً[55]: «برزت فكرة البعث القومي اليهودي من جديد في الثقافة الغربية الأوروبية في أكثر الأوقات ملاءمة من ناحية سياسية. فخلال القرن التاسع عشر أصبح الوجود اليهودي في فلسطين، بغض النظر عن دلالاته النبوئية الدينية، ودلالاته في مناصرة النفعية والسامية، قضية سياسية بالنسبة للدول الأوروبية التي كانت تصبو إلى التوسع في ما وراء البحار، وإقامة الإمبراطوريات... وأصبحت السلطات الدينية والدنيوية تتاجر بالأفكار الصهيونية، نظرًا لجدواها المحتملة في الوضع السياسي السائد. ووجدت فلسطين نفسها تدور فجأة في فلك السياسة الأوروبية...».

خامسًا- دخول الحكومة الفرنسية الحرب الحالية (العالمية الأولى) دفاعًا عن شعب هوجم ظلمًا:

أحال جول كامبون في رسالته/تصريحه مسألة مشاركة بلاده، ودخولها طرفًا مباشرًا ورئيسًا في الحرب العالمية الأولى (1914-1918م) إلى ما أسماه (الدفاع عن شعب هوجم ظلمًا)، أي إنه يقصد - على الأغلب - مهاجمة إمبراطورية (النمسا - المجر) وإعلانها الحرب على صِرْبيا في (28 يوليو / تموز 1914م)، وذلك بُعيد قيام طالب صربي باغتيال الأرشيدوق فرانز فرديناندو ولي عهد النمسا وزوجته بمدينة سراييفو[56].

إن محاولة الفرنسي جول كامبون ربط مسألة مشاركة الجمهورية الفرنسية الحرب العالمية الأولى ودخولها فيها دفاعًا عن صربيا التي اعتدت عليها إمبراطورية

(النمسا - المجر)، يستدعي التطرق إلى الظروف والأوضاع التي كانت عليها القارة الأوروبية قبيل بدء تلك الحرب. وباقتضاب، كانت الظروف والأوضاع على النحو الآتي:

1- عشية الحرب العالمية الأولى، كانت القارة الأوروبية تمر بأوج مرحلة الابتكار الاقتصادي والتقني والفني والعلمي، والمنافسة بين الدول كانت قوية آنذاك، مدفوعة بالرغبة في تحقيق نفوذ سياسي، والحصول على أسواق تجارية، في وقت كانت فيه برلين تُقلق لندن بسبب طموحاتها البحرية والاستعمارية المعلنة، مما أدى إلى حدوث توترات كبيرة مع فرنسا بسبب المغرب[57].

2- تشكلت على مدى السنوات التي سبقت عام 1914م كتلتان؛ الأولى: الحلف الثلاثي الذي جمع بين ألمانيا وإمبراطورية (النمسا-المجر) وإيطاليا. الثانية: كتلة جمعت بريطانيا وفرنسا وروسيا. ومع تشكل تلك الكتلتين، سرت في أوروبا نزعة قومية عدوانية شجعت على التنافس والتسابق الاستعماري بين تلك الدول الأوروبية، أدت لأن تتخذ فرنسا خطوات الإعداد للحرب من خلال تطوير بعض الوحدات العسكرية، ومَدَّ مدة الخدمة العسكرية، وزيادة عدد أفراد الجيش الفرنسي، في وقت كانت فيه مدارس فرنسا وجامعاتها وكنائسها تُذكر الشعب فيها وتحثه على بذل أقصى جهد لاسترداد الإلزاس واللورين اللذين فقدتهما فرنسا إثر حربها مع بروسيا عام 1871م[58]، وهو فقدان أضحى بالنسبة للشعب الفرنسي أمرًا مَسَّ الكرامة القومية، وأهان بلادهم على المستوى الدولي، وسبب لها خسارة اقتصادية فادحة بسبب ما كان متوفرًا في اللورين من مناجم للحديد[59].

وحول دوافع الحرب العالمية الأولى يقول المؤرخ الأمريكي جفري براون: «إن حرب عام 1914م لم تأتِ بغتةً، ولم تأخذ رجال الجيش والسياسة في أوروبا

على [حين] غرة، بل كانوا جميعًا ينتظرونها، يتأهبون لها، ويتهيأون لاستقبالها... وكان قد خيم على سماء الغرب قبيل الحرب سحاب من الشك والريب، ودبَّ التخوف في قلوب الدول جميعا. ففرنسا تخشى ألمانيا، وألمانيا تخشى فرنسا، وإنجلترا ترمُق نمو الصناعة الألمانية والأسطول الألماني بعين الحذر الناقم المرتاب، والنمسا تتوجس من مطامع الروس، وتخشى امتداد نفوذهم في البَلْقان، وروسيا تحنق على النمسا وألمانيا، وكل واحد من هؤلاء يظن أن الحق بجانبه وحده، لا يهاجم أحدًا إنما يفعل ما يفعل ليحفظ نفسه من شر الأعداء المهاجمين»[60].

وكتب السياسي الأمريكي ديفيد ديوك في السياق نفسه: «يوافق معظم المؤرخين على أن الحرب العالمية الأولى لم تكن نتيجة العدوان، أو الديكتاتورية، أو أية قوة شريرة أخرى، غير أنها التحالفات المعقدة المبنية للحفاظ على توازن القوة، وبشكل أساسي، لم يُثِرْها أي شيء إلا المخاوف الوطنية وتبجُّحُها»[61].

وبناءً على ما سبق فإن ما جاء ضمنيًّا في تصريح كامبون حول مسألة الدفاع عن صربيا كسبب أدى بفرنسا لأن تدخل الحرب العالمية الأولى، لا ينسجم مع حال دول القارة الأوروبية وأوضاعها، والتي كانت قبيل اشتعال الحرب العالمية الأولى تسعى لتحقيق مصالحها بالدرجة الأولى. ويبدو أن كامبون وبحديثه غير المباشر عن قرار بلاده الدفاع عن صربيا المعتدى عليها، إنما هدف لإظهار فرنسا بوصفها دولة لا يغيب عن سياستها وعلاقاتها الخارجية البعد الإنساني، انسجامًا مع مبادئ ثورتها التي قامت عام 1789م. كما أن اعتبار تصريح كامبون لأمر «عودة اليهود» إلى فلسطين «كقضية عادلة» أسوة بقضية الدفاع عن صربيا، إنما جاء ليتناغم مع ما كان يدعيه ويُروج له اليهود من حيث كونهم «أمة تعيش الظلم خارج وطن الآباء والأجداد»، «أمة يهودية» ترى أنه لا يجوز لدول العالم المتحضرة كفرنسا عدم النظر بعين العطف لمعاناتها في «المنفى».

إن ما تضمنه تصريح كامبون من محاولة لاستحضار الجانب الإنساني وإضفائه على سياسة فرنسا الخارجية، واعتبار ذلك محركًا لها، إنما يفتقر لقدر كبير من الواقعية، انطلاقًا من تاريخ السلوك والنهج الاستعماري الفرنسي في المناطق التي كانت قد احتلتها، ومن ذلك - على سبيل المثال لا الحصر - ما كانت مارسته فرنسا التي احتلت الجزائر منذ عام 1830م من سياسة استعمارية دموية بحق رجالها، وشبانها، ونسائها، وأطفالها؛ ومنحها المستوطنين الأوروبيين امتيازات اقتصادية وغير اقتصادية، كانت على حساب الجزائريين أبناء البلد الذين تحولوا من ملاك أراضي، إلى عمال زراعيين مقابل أجور زهيدة تراوحت ما بين نصف فرنك فرنسي، وفرنك ونصف عن 14 ساعة عمل[62].

لقد جاء حديث كامبون الضمني في رسالته/تصريحه لليهودي الصهيوني ناحوم سكولوف ،عن حرص بلاده السعي لتحقيق العدالة الإنسانية في العالم، ضمن سياق سياسة فرنسية يمكن وصفها وتسميتها بـ (سياسة الجمهورية الفرنسية في إصدار البيانات البراقة المخاطب بها الشعوب الأخرى)، وهي سياسة استعمارية لم تكن مرتبطة فقط بتوقيت إصدار تصريح كامبون، بل وما بعد تاريخ صدوره؛ ومما يدلل على ذلك مثلًا، مشاركة فرنسا لبريطانيا في إصدار بيان موجه لعرب المشرق في (7 نوفمبر / تشرين ثان 1918م)، زاعمةً فيه أن دخولها وخوضها للحرب العالمية الأولى في الشرق إنما جاء لدفع الظلم وخلاص العرب من الحكم التركي المستبد. ومما جاء في البيان[63]: «إن الهدف الذي حمل فرنسا وبريطانيا من خوضهما للحرب في الشرق، تلك الحرب التي أشعلتها أطماع الألمان هو تحرير الشعوب التي عانت ولمدة طويلة من الظلم والاستبداد التركي تحريرًا تامًا وكاملًا، ومن ثم إقامة حكومات وطنية مختارة من الأهالي اختيارا حرًا. ولإنجاز الهدف فإن فرنسا وبريطانيا تشجعان تكوين حكومات وطنية في كل من سوريا والعراق اللتين حُررتا بواسطة دول الحلفاء. كما أن

فرنسا وبريطانيا لا ترغبان في فرض أي نظام على سكان تلك المنطقتين، وإنما تقديم كل مساعدة ومساندة تضمن سير عمل تلك الحكومات الوطنية بفاعلية، وتطبيقها للعدل بلا تحيز...».

سادسًا- انتصار قضية اليهود يرتبط بانتصار دول الحلفاء:

جاء صدور تصريح كامبون في وقت لم تكن قد حُسمت فيه بعد الحرب العالمية الأولى، ففي الجبهة الغربية للحرب (بلجيكا وشرق فرنسا)، ونظرًا لقدرة قوات دول الحلفاء على وقف الزحف الألماني، والاستبسال والنجاح في منع سقوط باريس بعد معركة المارن الأولى (6-12 سبتمبر / أيلول 1914م)، أخذت الحرب بين الجانبين في تلك الجبهة تتخذ طابع حرب الخنادق، وتحصنت القوات العسكرية في خنادقها دون تحقيق مكاسب واضحة وحقيقية. وفي الجبهة الشرقية التي امتدت من بحر البلطيق غربًا إلى منسك الروسية شرقًا، ومن سانت بطرسبرغ شمالًا إلى البحر الأسود جنوبًا، كان الوضع أفضل لصالح دول الوسط بعد أن كانت ألمانيا والنمسا قد تمكنتا من تحقيق انتصار على الروس في معركة جورليس تارناو (2 مايو / أيار 1915م)، وبالتالي احتلال الجزء الروسي من بولندا ولتوانيا[64].

أما حكومة الولايات المتحدة الأمريكية فكانت سياستها ومنذ بدأت الحرب العالمية الأولى عام 1914م، هي الابتعاد عن ميدانها قدر الممكن، واعتماد نهج الحياد الذي كان يروق حينئذٍ للشعب الأمريكي ويحقق مصالحه. إلا أنه ونظرًا لما قامت به الغواصات الألمانية من إغراق للسفن الأمريكية - كالباخرة فيجنلنتيان في (19 مارس / آذار 1917م)- التي كانت تحمل بضائع لموانئ دول الوفاق(الحلفاء)، وما أدى إليه ذلك من تكبد الولايات المتحدة الأمريكية لخسائر فادحة، أعلن الرئيس الأمريكي آنذاك ودرو ويلسون، وفي شهر (أبريل /نيسان 1917م) الحرب على ألمانيا[65].

على الرغم من إعلان الولايات المتحدة الأمريكية الحرب على ألمانيا واصطفافها إلى جانب دول الحلفاء، فإنها كانت بحاجة ولأسباب عسكرية لما يقارب العام؛ كي تشارك فعليًّا في ميادين القتال بأوروبا، وربما كان هذا ما دفع ألمانيا لأن تكثف مساعيها ومجهودها الحربي؛ بغية تحقيق تقدم نوعي عسكري في ميادين القتال، قبل أن تستكمل الولايات المتحدة الأمريكية حشد قواتها بأعداد كبيرة(66).

وكانت روسيا إحدى دول الوفاق (الحلفاء) تعاني وقبل (23 فبراير / شباط 1917م) من أوضاع داخلية شديدة الاضطراب، تجسدت في إضرابات للعمال ومظاهرات قادها الاشتراكيون البلاشفة، وهي أوضاع داخلية ومظاهرات أجبرت القيصر الروسي نيقولا الثاني على التنازل عن العرش لأخيه رومانوف، وأدت إلى تزايد الاحتمال بانسحاب روسيا وتوقفها عن المشاركة في الحرب العالمية الأولى. وهنا أخذ القلق ينتاب بريطانيا وفرنسا وعموم دول الحلفاء، خشية أن يؤدي حدوث ذلك إلى إضعاف التحالف القائم بينهم وإفشاله. وجاءت كل تلك الأوضاع في وقت أبدت فيه ألمانيا استعدادها لتقديم ضمانات ووعود مكتوبة لليهود، تجاه إقامة «وطن قومي» لهم في فلسطين. وعليه، بدأ زعماء وقادة الصهيونية يسعون داخل بريطانيا وفرنسا، لاستغلال الفرصة وانتهازها وذلك الموقف الذي عليه دول الحلفاء، لمصلحة مشروعهم الاستعماري في فلسطين، بإبداء استعدادهم العمل تجاه دفع يهود روسيا الشيوعيين ليمارسوا دورًا ضاغطًا على الحكومة الروسية لإقناعها بأن تستمر في القيام بدورها الحربي إلى جانب دول الوفاق (الحلفاء)(67).

في ظل ذلك الحال شدد جول كامبون في تصريحه على أن تحقيق هدف الصهيونية في فلسطين، مرتبط ارتباطًا وثيقًا بتحقيق دول الحلفاء انتصارًا على

خصومها في الحرب، ما يعني أنه - أي تصريح كامبون - وضع الصهيونية في موقف ومستوى الطرف الذي يجب أن يكون مؤازرًا، بل وشريكًا إلى جانب دول الحلفاء في حرب كانت رحاها مستمرة؛ وما يعني أن ذلك يفرض على المنظمة الصهيونية العالمية، العمل والبحث عن كل ما من شأنه ضمان تحقيق الانتصار على ألمانيا، سواء كان ذلك بما يمكن أن يقوم به يهود روسيا من دور داخل روسيا، أو من خلال ما يمكن أن يقوم به اليهود داخل الولايات المتحدة الأمريكية. وفي هذا الصدد، ولأن الإستراتيجية والغاية بالنسبة لفرنسا في أثناء الحرب الأولى، هي جزءٌ لا يتجزأ من إستراتيجية كل دول الحلفاء، وعلى رأسها بريطانيا، وجه السفير البريطاني بمدينة لينغراد الروسية جورج بوتشانن مذكرة إلى سيرغي سازانوف وزير الشؤون الخارجية الروسي، في (13 مارس / آذار 1917م)، تحدث فيها عن أهمية قيام دول الحلفاء بوضع ترتيبات وفائدة ذلك، وتقديم تسهيلات، واتخاذ خطوات مؤيدة لمخططات وطموحات المنظمة الصهيونية العالمية؛ لأن ذلك من شأنه كسب تعاطف الجماعات اليهودية في الشرق، وفي الولايات المتحدة الأمريكية، وكل دول العالم وتأييدها لصالح دول الحلفاء[68].

ومما يعزز ما سبق قوله من حرص دول الحلفاء وعلى رأسها بريطانيا وفرنسا، الإفادة من علاقة المصلحة التي جمعتها بالصهيونية في أثناء الحرب العالمية الأولى، ما أورده السياسي الأمريكي ديفيد لوك من تعليق حول دور اليهود وتأثيرهم داخل الولايات المتحدة الأمريكية خلال تلك الحرب، بقوله: «بقيت أمريكا بشكل معقول خارج جنون الحرب، ولكن، في النهاية القوة اليهودية، ذات المصالح، كما هي دائمًا، كانت مصالحها هي بالذات التي قلبت الموازين»[69].

وفي السياق السابق ذاته المرتبط بمصالح طرفي تصريح جول كامبون: فرنسا والصهيونية، يقول المستشرق الفرنسي هنري لورانس[70]: «وبالنسبة للفرنسيين فإن هذا الاتخاذ لموقف رسمي له مقابل راسخ، إذ تعهَّد الصهيونيون بممارسة كل نفوذهم على يهود روسيا في اتجاه إبقاء روسيا في الحرب. وبالنسبة للصهيونيين، يعد ذلك [صدور تصريح كامبون] انتصارًا ملحوظًا، فقد حصلوا لأول مرة على تأكيدات رسمية من جانب دولة عظمى، وهو ما امتنعت بريطانيا العظمى عن عمله إلى الآن [أي قبل صدور تصريح بلفور]».

سابعًا- خلو التصريح من أي ذكر للسكان العرب الفلسطينيين:

تجاهل نص تصريح جول كامبون ذكر عرب فلسطين، سواء تصريحًا أم إيحاءً، وهو تجاهل جاء متناقضًا مع كونهم حينها كانوا يمثلون الغالبية الساحقة من سكان فلسطين؛ فالإحصاء السكاني العثماني لعام 1914م أثبت أن عدد السكان العرب كان 604.275 نسمة، وعدد اليهود كان 85,000-80,000 نسمة، وأن إجمالي عدد السكان العام وصل قرابة 689.275 نسمة[71]. وخلال السنوات الأولى من الحرب العالمية الأولى تعرضت أعداد اليهود في فلسطين للتراجع والنقصان بسبب موقفهم المؤيد لبريطانيا والمعادي للدولة العثمانية[72]. وعمومًا، كانت نسبة السكان العرب في فلسطين، عند صدور تصريح جول كامبون تُقدر بـ 95٪ من إجمالي نسبة سكان فلسطين[73].

إن ذلك التجاهل والإنكار للوجود الفعلي، والتفوق العددي العربي الفلسطيني في نص تصريح كامبون، لم يكن ليبتعد - بل ليكون منسجمًا - وعلى الأرجح مع الرؤية والفكرة الصهيونية التي كانت تروِّج لخلو فلسطين من السكان (أرض بلا شعب)، وهي رؤية تقوم على أساس أن العرب الموجودين في فلسطين، ومن الوجهة الحضارية، ما هم إلا « رعاة متخلفون، مخربون، شراذم،

أعدادهم قليلة، بلا اسم، ولا يستحقون أي ذكر»[74]. وانطلاقًا من ذلك كتب ثيودور هرتزل قائلًا: «ومن هناك [فلسطين] سوف نشكل جزءًا من استحكامات أوروبا في مواجهة آسيا كموقع أمامي للحضارة في مواجهة البربرية»[75].

أما الصهيوني دافيد بن غوريون فكان لا يتورع ولا يتردد إذا ما أتىٰ علىٰ ذكر العرب في خطاباته أن يصفهم بأوصاف غاية في الدُّونية والتحقير، ومن ذلك حديثه عن ما زعمه وأسماه «الأبخرة العفِنة التي تفوح من الأرض [فلسطين] عندما يتم حرثها للمرة الأولىٰ منذ ألفي سنة». وقوله أيضًا: «ستتجمع فيها [أي فلسطين] كل الثقافات، ومنها سوف تظهر عبقرية البشر النهائية، لكي تنشر حكمها علىٰ العالم بأسره، ولكن بشرط واحد؛ أن يتحكم في الأرض «أبناؤها»؛ لأنه إذا حدث مرة أخرىٰ أن توقف بنو إسرائيل عن سكنىٰ الأرض، فإن هذا سيكون فاجعة الحياة، وستتحول إلىٰ كومة من الخِرب، والعرب هم السبب في هذا؛ لأنهم تصرفوا طوال تاريخ إسرائيل بوصفهم مخربين»[76].

ولم يخرج ناحوم سوكولوف كثيرًا في موقفه، ونظرته من الوجود العربي التاريخي علىٰ أرض فلسطين عن ما جاء سالفًا من مواقف لقادة وزعماء صهاينة، فالفرنسي جورج بيكو وفي أثناء المقابلة التي جرت بينهما بالسفارة الفرنسية في لندن بتاريخ (8 - 9 فبراير / شباط 1917م)، سأل سوكولوف عن مصير العرب في فلسطين حال تمت الاستجابة للمطالب الصهيونية، فكان ردُّه: «فلسطين ليست المركز القومي للعرب...»[77].

وفي السياق السابق نفسه يرىٰ عبد الوهاب المسيري أن الصهيونية بوصفها معتقدًا وحركة، تنظر إلىٰ الشخصية العربية وتتعامل معها «علىٰ ثلاثة مستويات، تتسم كلها بأنها تجرد الإنسان العربي من وجوده المتعين، تجريدًا متزايدًا؛ حتىٰ يختفي كليةً ويتحول من العربي المتخلف إلىٰ العربي الغائب»[78].

واللافت أنه ومع التفوق السكاني العربي الواضح في فلسطين عام 1917م، فقد كانت مواقف الدول الغربية الاستعمارية الرئيسة، منسجمة حينئذٍ مع بعضها البعض تجاه إنكار الوجود الفعلي، والتفوق العربي العددي؛ فإذا كان تصريح الفرنسي جول كامبون قد تجاهل تمامًا ذكْر عرب فلسطين في نصه، فإن تصريح البريطاني آرثر بلفور الذي صدر بعده بخمسة أشهر تجنَّب ذكْرهم مباشرة، فأسماهم «الطوائف أو الجماعات غير اليهودية»[79]، زعمًا بأنه لم يكن يعش في فلسطين سوىٰ عدد قليل من «فئات دينية بائسة»، لا تستحق أن تشغل حيزًا من الذكر. وهنا فإن كلا التصريحين: تصريح كامبون وتصريح بلفور، يكونان في نصيهما قد أنكرا الاعتراف بالوجود السكاني العربي في فلسطين، أو حتىٰ اعتبارهم جزءًا من مجتمعهم العربي الكبير، ورفضا ذلك[80].

ثامنًا- وطن قومي أو دولة لليهود... أم ماذا؟

مع ما أبداه جول كامبون في تصريحه لليهودي الصهيوني سوكولوف من تعاطف وتأييد فرنسيين، تجاه «إعادة اليهود إلىٰ فلسطين» انطلاقًا مما زعمه «حقًا تاريخيًا» لهم فيها؛ فإنه لم يكشف في الوقت نفسه، ولم يبين بشكل لا لَبْسَ فيه، إن كان الموقف الفرنسي جاء منسجمًا ومتوافقًا تمامًا مع ما كانت تطمح إليه الصهيونية وتخطط له، من «إقامة وطن قومي لليهود» في فلسطين وفقًا لما جاء عن المؤتمر الصهيوني الأول، الذي انعقد بمدينة بازل/بال بسويسرا عام 1897م. وهنا فإنه يصعب تجاوز مسألة الفرق بين استخدام مصطلحات صريحة وواضحة المعنىٰ والمقصد واعتمادها، وبين استخدام مصطلحات قابلة للتأويل؛ فـ«إحياء الجنسية / القومية اليهودية وبعثها» وفقًا لما جاء في نص تصريح كامبون، وإن كان له مدلول ومغزىٰ ديني وتاريخي مهم بالنسبة لليهود، فإنه لا يعكس بالضرورة موقفًا وإعلانًا فرنسيين رسميين، يتحدث بشكل واضح وصريح عن تأييد «إقامة

وطن قومي / دولة لليهود في فلسطين»؛ إذ قد يُفسر «البعث والإحياء اليهودي» بالاستقرار في فلسطين، لكن دون أن يكون لهم فيها كيان. وهنا تكون فرنسا حينئذٍ، وعلى الأرجح، في موقف الذي لم يحسم أمره بعد، من الهدف الصهيوني المركزي في فلسطين. وفي هذا الصدد يقول بشارة خضر: «المذكرة الفرنسية [تصريح كامبون] تجنبت أي التزام محدد، واقتصرت على الإشارة إلى استقرار يهودي، ولم تتضمن عبارة وطن قومي»[81].

إن عدم اشتمال نص تصريح جول كامبون على أي ذكر لـ «الوطن القومي اليهودي» ربما يعني أن الحكومة الفرنسية، وإن أبدت تعاطفًا مع مزاعم اليهود وادعاءاتهم؛ فإنها في الوقت ذاته كانت حين صدور التصريح على أمل، وترغب بألا تخرج فلسطين من مناطق نفوذها المستقبلية. وحول هذا التوجه الفرنسي - حينها - ذكر أحمد سعيد نوفل أن الدور والموافقة الفرنسية الرسمية تجاه مخططات الصهيونية في فلسطين كانا يُراعيان اعتبارات عدة؛ الأول: ضمان عدم تبعية الدولة اليهودية وولائها في حال قيامها، لبريطانيا. والثاني: ألا يكون قيامها على حساب ما تريده وتخطط له فرنسا تجاه مناطق نفوذها في المنطقة العربية. والثالث: أن التأييد الفرنسي المعلن الصريح، والمتضمن «إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين» قد يزيد من التأثير سلبيًّا على وجودها الاستعماري في المغرب العربي[82].

ومما يعزز الرأي السابق أن المنظمة الصهيونية العالمية لم تكتفِ ولم تقف عند حد ما تضمنه نص تصريح كامبون، فالمساعي والجهود الصهيونية استمرت ولم تتوقف للحصول على بيان يتحدث وبشكل واضح عن موافقة الحكومة الفرنسية على إقامة «وطن قومي لليهود» في فلسطين. لذلك التقى وزير الشؤون الخارجية الفرنسي استيفان بيشون في باريس في (9 فبراير / شباط 1918م) بالزعيم الصهيوني ناحوم سوكولوف الذي طالب بإصدار بيان فرنسي متضمنًا

عبارة «وطن قومي»، وذلك تماشيًا مع أهداف ومخططات الصهيونية في فلسطين. وأكد سوكولوف للوزير الفرنسي بأن الأمر ذو أهمية كبيرة بالنسبة لليهود عمومًا، ولليهود الولايات المتحدة الأمريكية خصوصًا. وبعد نقاشات حول الأمر، استجاب بيشون، وأصدر في (14 فبراير / شباط 1918م) تصريحا فرنسيًّا آخر، مستخدمًا فيه تعبير «الوطن القومي». وجاء نص تصريح بيشون[83] إلى ناحوم سوكولوف على النحو الآتي[84]:

«وفقًا لما اتفقنا عليه خلال المحادثات التي أجريناها يوم السبت الموافق (9 فبراير / شباط)، وبالنظر إلى تحديد وجهة نظر حكومة الجمهورية الفرنسية وموقفها تجاه الآمال الصهيونية العازمة على إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، فقد نشرت -أي الحكومة الفرنسية- مذكرة بهذا الخصوص في الصحافة. وإني إذ أقدم إليك هذا النص، فإني أغتنم الفرصة لأهنئكم على إخلاصكم وتفانيكم في متابعة إنجاز آمال إخوانكم في الدين، ثم لأشكركم على الحماس الذي أظهرتموه من أجل كسب مشاعر التعاطف التي لقيتها جهودكم في بلدان الوفاق [الحلفاء]، وبالخصوص في فرنسا».

وتعليقًا على سياسة المنظمة الصهيونية وقادتها في ما يخص مصطلحي: «دولة»، و«وطن قومي لليهود في فلسطين»، يقول المؤرخ الهندي ج. هـ. جانس[85]: «بقي هدف الحركة الصهيونية الحقيقي والسري دائمًا [هو إقامة] دولة يهودية في فلسطين. ولم تكن الأوصاف المتنوعة التي أطلقت على ذلك الهدف تكيفًا مع الظروف المتغيرة، وإنما كانت تحولها للهدف الحقيقي. وقد كيَّف الصهيونيون أنفسهم بالفعل مع الظروف السياسية بطريقة واحدة: فعندما كانت الظروف مناسبة وصفوا هدفهم باسمه الحقيقي، وعندما لم تكن الظروف مناسبة أسموه كومنولثًا، أو وطنًا قوميًّا».

تاسعًا- تصريح كامبون واتفاقية سايكس- بيكو:

توصلت فرنسا وبريطانيا وروسيا، في (16 مايو / أيار 1916م) إلى اتفاقية سايكس- بيكو السرية، تلك الاتفاقية التي وضعت تصورًا لنفوذ بريطانيا وفرنسا وأطماعهما في منطقة المشرق العربي. وفيما يخص فلسطين، فقد تم الاتفاق على وضعها تحت الإدارة الدولية، باستثناء ميناءي حيفا وعكا، اللذين اتفق على أن يكونا تحت السيطرة البريطانية[86].

جاء تاريخ صدور تصريح جول كامبون بعد اتفاقية سايكس - بيكو التي لم تتناول في نصوصها ما له علاقة بما يُسمى «عودة اليهود» إلى فلسطين. وبالتالي، فإن تصريح كامبون الذي نص على «إحياء/بعث القومية اليهودية»، يكون بشكل أو بآخر وفي ما يخص فلسطين، قد تجاوز حدود ما تم التوصل له في اتفاقية سايكس- بيكو السرية. وربما أن ذلك التجاوز الفرنسي جاء انعكاسًا لحالة من عدم الرضا تجاه وضع فلسطين في تلك الاتفاقية تحت الإدارة الدولية، ففرنسا كانت وخلال المفاوضات التي سبقت التوصل لاتفاقية سايكس- بيكو، أبدت رغبة شديدة بأن تكون فلسطين جزءًا من مناطق نفوذها المستقبلية، متذرعةً بأنها جزء لا يتجزأ من سوريا الكبرى، ومتذرعة بما تَعدُّه حقها التاريخي في حماية المسيحيين الكاثوليك، والمقدسات الدينية المسيحية[87]. وعليه فإنه يمكن القول: إن تصريح جول كامبون ربما شكل محاولة من قبل فرنسا، لتُحقق شيئًا مما لم تستطع تحقيقه في اتفاقية سايكس- بيكو، من حيث سعيها لأن يكون لها نفوذها في فلسطين، بدعمها وتأييدها للاستيطان الصهيوني.

بيد أنه، ومع اعتبار ما جاء في تصريح كامبون للصهيوني ناحوم سوكولوف، بمثابة محاولة فرنسية لتحقيق شيء مما لم يكن بالإمكان تحقيقه في اتفاقية سايكس-بيكو، فإن الحكومة البريطانية كانت على علم بتفاصيل ما يجري مع

الصهيوني سوكولوف في باريس؛ إذ تسربت لها نسخة عن تصريح كامبون الذي عدته وثيقة مهمة، تقتضي إبرازها في وجه المسؤولين الفرنسيين حال اعتراضهم أو تحفظهم، على أية خطوة بريطانية مستقبلية، تتساوق مع المطالب والأهداف الصهيونية في فلسطين، خصوصًا أنه وفي الوقت الذي كان فيه سوكولوف يقوم بنشاطه السياسي في باريس، كانت لندن تشهد نشاطًا وحراكًا صهيونيًّا محمومًا، هدفه الحصول على اعتراف وموافقة رسمية بريطانية مكتوبة، لصالح إقامة «وطن قومي» لليهود في فلسطين. ففي نفس شهر (يونيه / حزيران 1917م)، وهو الشهر نفسه الذي صدر فيه تصريح كامبون، أبدى البريطاني آرثر جيمس بلفور استعداده للقادة والزعماء الصهيونيين، تسلم ما سيقدمونه له من خطة وتصور لما يسعون لتحقيقه. وبناء عليه، تقدمت الصهيونية في (18 يوليو / تموز 1917م) بخطتها التي تقوم على أساس اعتراف بريطانيا ومساندتها، «إقامة وطن قومي» لليهود في فلسطين. وبعد نقاشات ومشاورات أجرتها في ما بينها حكومة ديفيد لويد جورج البريطانية، وبعد نقاشات ومداولات جرت مع يهود بريطانيا، وزعماء الصهيونية، وجَّه آرثر بلفور وزير خارجية بريطانيا ، في (2 نوفمبر / شرين ثان 1917م) رسالة - وعد / تصريح بلفور - للزعيم اليهودي الصهيوني أدموند دي روتشيلد، تضمنت تعاطفًا وتأييدًا بريطانيًّا تجاه «إقامة وطن قومي يهودي في فلسطين»[88].

*

خاتمة:

جاء التصريح الفرنسي الصادر في (الرابع من شهر يونيو / حزيران 1917م)، والمُوقع من قبل سكرتير وزارة الخارجية الفرنسية جول كامبون، لليهودي الصهيوني ناحوم سوكولوف ليجسد حالة من التقاطع والالتقاء ما بين المصالح الفرنسية والمخططات الاستعمارية الصهيونية تجاه فلسطين، في وقت وظروف غاية في الأهمية بالنسبة للجمهورية الفرنسية التي كانت طرفًا مباشرًا، ولاعبًا أساسيًا مشاركًا في الحرب العالمية الأولى (1914-1918م). ويمكن القول: إن توقيت صدور تصريح كامبون جاء ليضفي دلالةً على كيفية استغلال المنظمة الصهيونية العالمية وزعاماتها لظروف تلك الحرب، وما واكبها من أحداث معقدة أحيانًا، وانتهازها بالشكل الذي يؤدي بالمضي نحو تحقيق هدف «إقامة وطن/دولة يهودية في فلسطين».

أما في ما يخص التصريح نفسه، فقد تبين ما يلي:

أولًا: التصريح صدر عن وزارة الخارجية الفرنسية ممثلةً بسكرتيرها جول كامبون، ما يعني أن كل ما تضمنه هو تعبير عن موقف رسمي للجمهورية الفرنسية حيال مخططات الصهيونية في فلسطين.

ثانيًا: بصرف النظر عن عدم نص التصريح صراحة على «إقامة وطن/دولة لليهود في فلسطين»؛ فإن الجمهورية الفرنسية ومن الوجهة القانونية والأخلاقية والتاريخية، تكون قد قررت في ما لا يحق لها أن تُقرر أو تَمنح.

ثالثًا: وإن أبدت فرنسا تعاطفًا و تأييدًا لما تسعى الصهيونية لتحقيقه من مشروع استعماري في فلسطين؛ فإنها تمسكت في الوقت نفسه بما عدَّته حقها التاريخي في حمايتها للكاثوليك، وللمقدسات المسيحية في فلسطين، ما يعني حرصها وكدولة استعمارية بأن يكون لها موطئ قدم ونفوذ مستمر في فلسطين.

رابعًا: ورد في نص التصريح مصطلحات جذابة، تلامس مشاعر اليهود وعواطفهم، وهي في مركز فكرهم الديني وزعمهم التاريخي؛ وهذا ما يدفع بالقول: إن الجمهورية الفرنسية اعترفت رسميًا بالادعاء والزعم اليهودي، الذي يتحدث عن «العلاقة الدينية التاريخية التي تربط اليهود بأرض فلسطين»، إلا أن ذلك حينها لم يكن لينسجم بالضرورة، ومن الناحية الدينية، مع فرنسا ذات الغالبية المسيحية الكاثوليكية.

خامسًا: عكس ما تضمنه نص تصريح كامبون، قدرًا من التأني الفرنسي تجاه الاستجابة لكل تفاصيل المخطط الصهيوني؛ فالمؤتمر الصهيوني الأول الذي عُقد بمدينة بازل بسويسرا عام 1897م حدد هدفه بإقامة «وطن/دولة لليهود في فلسطين»، في حين أن نص التصريح الفرنسي لم يأتِ على ذكر ذلك صراحة، ما قد يُفسر بأن فرنسا حينها وإن وافقت على استيطان يهودي صهيوني، فإنها لم تقطع الأمل - لم تنجح - لئلا تخرج فلسطين عن دائرة سيطرتها المباشرة، بوصفها جزءًا لا يتجزأ من سوريا الكبرى.

سادسًا: تصريح الفرنسي جول كامبون، وكذلك تصريح البريطاني آرثر بلفور الذي صدر في ما بعد، تشابها في بعض ما ورد في نصيهما، كما أنهما من حيث الشكل، عبرا عن موقف/مبدأ أوروبي عام هدفه التخلص من عبء الوجود اليهودي في أوروبا، وتحقيق أهداف ومصالح استعمارية.

*

الهـوامش

(1) Spencer C. Tucker: World War1(The Definitive Encyclopedia And Collection), Foreword: Holger H. Herwig, Vol.1 A-C, ABC-CLIO, Oxford-England, 2014, p.327. https://books.google.ps/books?id=DBwTBQAAQBAJ&pg=PA327&lpg=PA327

(تاريخ المشاهدة والاطلاع: الأربعاء 27 يوليو / تموز 2016م). وكذلك:

Juels Cambon (French diplomat); Encyclopedia Britannica, School And Library Subscribers. https://www.britannica.com/biography/Jules-Cambon

(تاريخ الاطلاع والمشاهدة: الأربعاء 27 يوليو / تموز 2016م).

(2) عبد الوهاب المسيري، اليهود واليهودية والصهيونية، م2، ط3، القاهرة، دار الشروق، 2006م، ص275 ؛ ج. هـ جانس، الصهيونية وإسرائيل وآسيا، ترجمة: راشد حميد، بيروت، مركز أبحاث منظمة التحرير الفلسطينية، 1972م، ص 127؛ وكذلك:

Henriette H. Bodenheimer; To Israel, New York, A.S. Barnes & Company, Inc., 1963, p. 393.

(3) أمين عبد الله محمود، مشاريع الاستيطان اليهودي منذ قيام الثورة الفرنسية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، سلسلة عالم المعرفة (74)، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، فبراير 1984م، ص187.

(4) صبري جريس، تاريخ الصهيونية 1862-1917م، ج1 (التسلل الصهيوني إلى فلسطين 1862-1917)، القدس، دون دار نشر، 1987م، ص271-272.

(5) أمين عبد الله محمود: مرجع سابق، ص188؛

Jessie E. Sampter; A Guide to Zionism, New York, Zionist Organization of America, 1920, p.79-80.

(6) عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، ط10، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات، 1990، ص80؛ صبري جريس، مرجع سابق، ص273.

حاييم عازار وايزمان: وُلد عام 1874م في بلدة موتول بولاية بينسك الروسية، التي أنهى فيها تعليمه العالي. انتقل عام 1904م للعمل محاضرًا بجامعة مانشستر ببريطانيا، بعد أن درس وحصل على درجة الدكتوراه عام 1899م في الكيمياء من مدرسة (البولتيكنيكوم) بألمانيا. انتمى لجماعة أحباء صهيون منذ وقت سابق لتاريخ انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول. أصبح بعد وفاة الزعيم الصهيوني ثيودور هرتزل، واحدًا من ألمع الشخصيات اليهودية الصهيونية وأبرزها. وفي بريطانيا التي كرس فيها جل جهده لتأييد هدف الصهيونية، ارتبط بعلاقات ودية مع عدد من أصحاب الرأي والساسة، أمثال مارك سايكس بيكو، وجيمس آرثر بلفور. وفي الوقت الذي كانت فيه بريطانيا طرفًا أساسيًا في الحرب العالمية الأولى، نجح وايزمان، بوصفه متخصصًا بالكيمياء، في اكتشاف مادة الآسيتون التي تدخل عنصرًا أساسيًا في المتفجرات (TNT)، وهو

الاكتشاف الذي قربه بشكل أكبر من الحكومة البريطانية. حول ذلك، وللمزيد انظر: الحسيني الحسيني معدي، مذكرات حاييم وايزمان، القاهرة، دار الخلود للنشر، 2015م، ص5-10؛ وكذلك:

Dorothy F. Zeligs; The Story Of Modern Palestine, New York, Bloch Pub. Co.,1940, p.190;

David H. Popper; The Puzzle of Palestine, New York, Foreign Policy Association, 1938, p.31;

هنري لورانس:مسألة فلسطين (اختراع الأرض المقدسة - أصل فلسطين ما تحت الانتداب)، م1، الكتاب الثاني، 1914-1922، ترجمة: بشير السباعي، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة- المشروع القومي للترجمة، 2006م، ص72-73.

(7) Alan R. Taylor; Prelude to Israel, New York, Philosophical Library, 1959, p.10.

(8) Nahum Sokolow; History Of Zionism 1600-1918, Introduction By: A,J,Balfour, M.P., Vol.2, London, Longmans, Green & co., 1919, p.50- 51.

(9) مارك سايكس (1879-1919م)، رحالة، ودبلوماسي بريطاني، مختص في شؤون الشرق الأوسط. تقلد مناصب ومهام عدة؛ منها: ملحق فخري بالسفارة البريطانية في إستانبول، ومساعد في وزارة الحرب البريطانية. ومن بين المهام التي كلف للقيام بها من قبل حكومته، مهمة التباحث مع الدبلوماسي الفرنسي جورج بيكو، وهي مباحثات أفضت للتوصل إلى اتفاقية سايكس - بيكو عام 1916م. كان سايكس من مؤيدي المشروع الاستيطاني الصهيوني في فلسطين؛ إذ كان يرى أن العبراني الحقيقي هو ذلك اليهودي الذي يترك إنجلترا ليستوطن ما يسمى «بلده العضوي فلسطين». عبد الوهاب المسيري، اليهود واليهودية والصهيونية، م2، ط3، مرجع سابق، ص220. ويقول المؤرخ البريطاني جون روز: «لقد كان سايكس يمثل وجهة النظر الإمبريالية البريطانية بشكل مكثف، والقائلة أن الصهيونية تستطيع إصلاح سلوك «يهود العالم»، وتضمن مساندة «يهود العالم» للمجهود الحربي للحلفاء، وضمان فلسطين للإمبراطورية البريطانية بعد الحرب». جون روز، أساطير الصهيونية، ترجمة: قاسم عبده قاسم، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، 2006م، ص167.

(10) Nahum Sokolow, op., cit., p.52.

وكذلك: صبري جريس، مرجع سابق، ص281.

(11) Alan R. Taylor; op., cit., p.18-19.

(12) صبري جريس، مرجع سابق، ص282؛ Nahum Sokolow; op., cit., p.52.

(13) ج. هـ جانس، مرجع سابق، ص93.

(14) بعد أن تحدث سوكولوف لجورج بيكو، حول تفضيل الصهيونية للرعاية والدعم البريطاني للمشروع الاستيطاني الصهيوني في فلسطين، وجد الفرنسيون أنفسهم - وبحسب جون روز -

في موقف ضعيف؛ لأن بريطانيا كانت الأقدر على احتلال فلسطين. جون روز، مرجع سابق، ص170.

(15) هنري لورانس، مسألة فلسطين،م1، الكتاب2، مرجع سابق، ص83؛ أبو القاسم سعد الله، التصريحات الفرنسية الموالية للصهيونية (1917 - 1918)، مجلة التاريخ العربي، ع 7، جمعية المؤرخين المغاربة. موقع المجلة الإلكتروني.

http://www.attarikh-alarabi.ma/Html/adad7partie8.htm

(تاريخ المشاهدة والاطلاع: الخميس 19 مايو / أيار 2016م).

(16) Alan R. Taylor; op., cit., p.20.

(17) William B. Ziff; The Rape Of Palestine, New York, Longmans Green & Co., 1938, p.57-58;

صبري جريس، مرجع سابق، ص283.

(18) Nahum Sokolow; op., cit., p.52; Sampter, Jessie E.; op., cit. p.79- 80.

(19) هنري لورانس، مسألة فلسطين، م1، الكتاب2، مرجع سابق، ص87-88.

(20) صبري جريس، مرجع سابق، ص284 ؛ Jessie E. Sampter; op., cit., p.86.

(21) أورد شاكر نوري أن الموقف السلبي تجاه الصهيونية من قبل يهود فرنسا، استمر حتى نهاية الحرب العالمية الأولى. انظر: شاكر نوري، اللوبي الصهيوني داخل فرنسا من ثكنة عسكرية إلى كواليس الإليزيه، بيروت، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع، 2013م، ص41.

بناءً على ما تم الاستعانة به من مصادر ومراجع تاريخية في هذه الدراسة لم يلحظ الباحث أي دور بارز ليهود فرنسا تجاه مساعي ناحوم سوكولوف .

(22) لاحقًا، وبتاريخ 9 مايو / أيار 1918م أصدرت الحكومة الإيطالية تصريحًا موجهًا لليهودي الصهيوني ناحوم سوكولوف، ومما جاء فيه: «وبما يتماشى مع تعليمات صاحب الفخامة البارون سونينو، وزير شؤون خارجية صاحب الجلالة، يشرفني إبلاغكم بأنه في ما يتعلق بمطالبكم... سيقوم هؤلاء [أي المسؤولون الإيطاليين] بمقتضاه ببذل كل ما في مستطاعهم لتيسير إقامة مركز قومي إسرائيلي في فلسطين...». انظر: هنري لورانس، مسألة فلسطين، م1، الكتاب2، مرجع سابق، ص137.

(23) Nahum Sokolow; op., cit., p.53.

(24) من بين المراجع التي نشرت تصريح جول كامبون باللغة الفرنسية كانت: الدورية الإلكترونية الفرنسية الإسرائيلية المشتركة، نظرة أخرى على الشرق الأوسط، مرسيليا، ع4، الاثنين 26 سبتمبر 2011م، ص8.

Un autre regard sur le Proche-Orient, Bulletin Internet de France-Israël Marseille, Section de Marseille de l'Association France-Israël, Alliance général Koenig, Numéro 4, Lundi 26 septembre 2011, P.8.

جرىٰ مراجعة ومطابقة - خاصة للباحث - الترجمة العربية لنص تصريح كامبون، والواردة في متن هذه الدراسة نفسها مع النص الفرنسي الذي نشرته الدورية الإلكترونية الفرنسية الإسرائيلية: (نظرة أخرىٰ على الشرق الأوسط) من قِبَل: محمد صلاح يونس، ماجستير علوم اللغة الفرنسية، جامعة بيزانسون، فرنسا، 2014م.

(25) Nahum Sokolow; op., cit., p.53; William B. Ziff; op., cit., p.62; Herbert Sidebotham; England And Palestine, Essays Towards The Restoration of The Jewish State, London, Constable And Company Ltd., 1918, p. ix.

جاءت ترجمة نص تصريح كامبون للعربية، والوارد في متن هذه الدراسة متفقة مع ما جاء عن: أحمد سعيد نوفل، المؤامرة الاستعمارية الصهيونية على فلسطين، في كتاب (المدخل إلى القضية الفلسطينية)، تحرير: جواد الحمد، عمّان/الأردن، مركز دراسات الشرق الأوسط، 1997م، ص166-167؛ هنري لواتس، مسألة فلسطين، م1، الكتاب2، مرجع سابق، ص89؛ صبري جريس، مرجع سابق، ص285؛ أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، مجلة التاريخ العربي، (http://www.attarikh-alarabi.ma/Html/adad7partie8.htm)؛ جوني منصور (مؤرخ فلسطيني)، تصريح بلفور الخطوة الأولىٰ نحو بناء دولة يهودية وظيفية، مدونته الإلكترونية الخاصة به على الإنترنت. http://first-historian.blogspot.com/2013/04/blog-post_434.html

وكذلك: الصهيونية وفرنسا، في: موسوعة المعرفة الإلكترونية. http://www.marefa.org/index

(26) حول تفاصيل ما يخص تصريح بلفور من حيث عدم قانونية صدوره، وغير ذلك، انظر: عيسىٰ السفري، فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية، الكتاب1، يافا، مكتبة فلسطين الحديثة، 1937م، ص66-67؛ فلسطين تاريخها وقضيتها، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ص51-53؛ وكذلك: رفيق محمود المصري ويوسف الزاملي وآخرون، (فلسطين تاريخ وقضية)، غزة (فلسطين)، هيئة الكتاب الجامعي بجامعة الأقصىٰ، 2005م، ص35-37.

(27) صدر كتاب (روما والقدس) عام 1862م وباللغة الألمانية، والنسخة التي بين يدي الباحث هي تلك التي ترجمها للإنجليزية الألماني: ماير واكسمان (265 صفحة). والكتاب عبارة عن مجموعة من الأفكار التي تخص مستقبل اليهود وطموحاتهم في أرض فلسطين، وما ينبغي عليهم فعله من أجل العودة إليها. وجاءت أفكار اليهودي الألماني موسس هس في كتابه على شكل رسائل بلغ عددها اثنتي عشرة رسالة، إضافة إلى عدد عشر ملحوظات، فخاتمة الكتاب. ومن بين ما جاء في الرسالة الأولى، مثلًا: «لقد عاش اليهود بين الأمم ما يقارب ألفي عام، ومع ذلك لم يستطيعوا أن يكونوا جزءًا عضويًا منها. إن الفكرة التي أؤمن بها هي فكرة اليهودية ... كم هم أغبياء أولئك الذين يقللون من قيمة المرأة وتأثيرها في تطوير اليهودية وتنميتها...».

Moses Hess: Rome & Jerusalem (A Study In Jewish Nationalism), Translated From The German; Meyer Waxman. New York, Bloch Publishing Company, 1918, p.43-44.

ومن الباحثين الذين تحدثوا بقدر ملحوظ من التفصيل عن كتاب موسس هس، وعرض أفكاره وحللها، خصوصًا ما تعلق منها بالدور الفرنسي الذي كان يتصوره تجاه «إقامة الوطن القومي اليهودي»، انظر: أمين عبد الله محمود، مرجع سابق، ص57 - 65؛ وكذلك:

Nevill Barbour; Palestine: Star Or Crescent, New York, The Odyssey Press, 1947, p.34 and followed

(28) صبري جريس، مرجع سابق، ص71-79؛ علي المحجوبي، جذور الاستعمار الصهيوني بفلسطين، تونس، دار سراس للنشر، المعهد الأعلى للتربية والتكوين المستمر، 1995م، ص25.

(29) خالد صافي، فلسطين خلال الحكم العثماني (1516-1918م)، في كتاب: قضايا مختارة في الدراسات الفلسطينية، ط1، خان يونس(فلسطين)، مكتبة ومطبعة حمودة، 2012م، ص33.

(30) Herbert Parzen; A Short History Of Zionism, New York, Herzl Press, 1962, p.32-33; صبري جريس، مرجع سابق، ص155.

(31) Nahum Sokolow; op., cit., p.54.

(32) خليل اينالجيك، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، ترجمة: محمد م. الأرناؤط، بيروت، دار المدار الإسلامي، 2002م، ص213 ؛ إبراهيم يوسف عبيد، فلسطين في أواخر العهد العثماني، في كتاب: دراسات في تاريخ فلسطين، ط2، خان يونس(فلسطين)، مكتبة ومطبعة حمودة، 2015م، ص90.

(33) عادل مناع، تاريخ فلسطين في أواخر العهد العثماني (1700-1918 قراءة جديدة)، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1999م، ص187.

(34) جفري براون، تاريخ أوروبا الحديث، ترجمة: علي المرزوقي، عمان، الأهلية للنشر والتوزيع، 2006م، ص497- 498.

(35) محمد صبري الدالي، القوى الأوروبية الكبرى والصراع الروسي العثماني، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 2014م، ص293-294.

(36) جفري براون، مرجع سابق، ص497- 498.

(37) بحسب ما كتب المستشرق الفرنسي هنري لورانس: كان موقف الحكومة الروسية عام 1916م، ولكي توافقه على الاستيطان الصهيوني في فلسطين، مشروط بضمان المحافظة على المنشآت الأرثوذكسية الموجودة في الأراضي المقدسة، وكذلك الحفاظ على الحقوق والامتيازات المكتسبة، و حرية ممارسة الشعائر الدينية للمسيحيين الأرثوذكس. هنري لورانس، مسألة فلسطين، م1، ك2، مرجع سابق، ص71.

(38) جفري براون، مرجع سابق، ص503-505؛ بشارة خضر، أوروبا وفلسطين من الحروب الصليبية حتى اليوم، ترجمة: منصور القاضي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2003م، ص97.

(39) إن ما يدعو إلى عدم الاعتراف بزعم اليهود اعتبار أنفسهم «قومية»، أن القومية بحد ذاتها

تتطلب لغة واحدة، وثقافة واحدة، ووطنًا واحدًا. أما الدين فهو عقيدة يعتنقها الفرد أو المجتمع، والقومية الواحدة قد تضم ديانات عدة. ففي سبعينيات القرن التاسع عشر الميلادي قامت الوحدة الألمانية رغم التناقض السكاني بين المسيحيين البروتستانت والكاثوليك. وفي أواخر القرن التاسع عشر قامت حركة قومية عربية مناهضة للحكم التركي؛ وهي حركة قومية التقى فيها العنصر العربي: المسلم، والمسيحي. أحمد سوسة، أبحاث في اليهودية والصهيونية، الأردن، دار الأمل للنشر والتوزيع، 2003م، ص177؛ علي المحجوبي، مرجع سابق، ص33.

وفي شأن مدى اعتبار اليهود «أمة» كسائر الأمم من حيث التجانس والتكوين، استشهد كامل سعفان بما قاله عدد ممن بحثوا في ذلك، منهم أوجين بتار أستاذ علم الأجناس بجامعة جنيف، الذي وصل لنتيجة مفادها أن «اليهود عبارة عن طائفة دينية اجتماعية، انضم إليهم في جميع العصور أشخاص من أجناس شتى، جاؤوا من جميع الآفاق... ومن المستحيل أن نتصور أن اليهود ذوي الشعر الأشقر الكستنائي والعيون الصافية اللون الذين نلقاهم في أوروبا الوسطى يمتون بصلة القرابة -قرابة الدم- إلى أولئك الإسرائيليين القدماء الذين كانوا يعيشون بجانب نهر الأردن». أما الكاتب اليهودي أبراهام ليون فيقول: «إن اليهود يشكلون - في حقيقة الأمر- خليطًا عرقيًا متنافرًا، والسبب الرئيس في هذا هو طابع التشتت الملازم لليهودية، وحتى في فلسطين كان اليهود بعيدين عن تشكيل عرق صاف». كامل سعفان، اليهود من سراديب الجيتو إلى مقاصير الفاتيكان، القاهرة، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، دون تاريخ نشر، ص271.

(40) حول حقيقة وجود نداء مكتوب لبونابرت، يقول بشير نافع: «ما زال البحث التاريخي غير قاطع في مسألة إعلان نابليون من معسكره في الرملة لليهود بالعودة [حسب زعمهم]» لبلادهم». كما أن النص الفرنسي للإعلان لم يعثر عليه بعد، هذا إن كان هناك إعلان بالفعل. وعلى أية حال، فإن دوافع بونابرت في حملته على فلسطين لم تكن دينية مباشرة، ورغم أنه لم يكن بعيدًا عن مدينة القدس إلا أنه لم يدخلها قط». بشير موسى نافع، الإمبريالية والصهيونية والقضية الفلسطينية، القاهرة، دار الشروق، 1990م، ص45. وينكر هنري لورانس وبشارة خضر، ويكذبان القول بصدور نداء من قبل نابليون لليهود. انظر: هنري لورانس، بونابرت والإسلام والدولة اليهودية، ترجمة: بشير السباعي، القاهرة، دار مصر العربية للنشر والتوزيع، 1998م، ص52-54؛ بشارة خضر، مرجع سابق، ص80-81. وفي المقابل لم ينكر البريطاني هربرت سابديوثام، والأمريكي كيشور مسألة صدور نداء من نابليون لليهود ولم يشككا فيها. انظر:

Herbert Sidebotham;op.,cit., p.98; Sulamith Ish-Kishor; Everyman's History of The Jews, New York, Frederick Fell, 1948, p 207.

وحول الأمر السابق نفسه، علق سليمان الشيخ قائلًا: «توزع النقاش بين من نفي وجود مثل

هذا «الوعد» في الأراشيف الرسمية المعنية، وإنه ربما كان من نوع الإشاعات والأقاويل السائرة، والتي تناقلتها بعض الأوساط في مرحلة تلي الأخرى. في حين أن أوساطًا أخرى تناقلت أخبارًا صحافية أشارت إلى أن «الوعد» ربما كان من الوعود الشفهية التي لم يتم توثيقها؛ ومع ذلك فإن هناك من نقل كلامًا صحافيًا في تاريخ محدد، وفي صحيفة محددة، جاء فيه أن المؤرخ الفرنسي اليهودي بول جيفنسكي عثر على خبر منشور في صحيفة مونيتور بونيفيرسال في 22 مايو / أيار 1799م، جاء فيه أن أصدر بيانًا دعا فيه جميع يهود آسيا وإفريقيا للانضمام إلى صفوفه، وتحت رايته لاستعادة القدس القديمة.» انظر: سليمان الشيخ، بونابرت (هل وعد اليهود بفلسطين قبل بلفور)، جريدة المستقبل اللبنانية، ع5250، الاثنين، 29 ديسمبر / كانون الأول 2014م، ص19.

(41) Sulamith Ish-Kishor; op., cit., p.207; David M. Stamler; Jewish Interests in Palestine, In The Book: Ackdrop to Tragedy, U.S.A., Beacon Press, 1957, p.136; عبد الوهاب محمد المسيري، مرجع سابق، ص106؛ وكذلك أحمد سعيد نوفل، مرجع سابق، ص163.

(42) هنري لورانس، بونابرت والإسلام، مرجع سابق، ص49-50؛ محمد حافظ يعقوب، المئوية الثانية للحملة الفرنسية على مصر. نص نداء نابليون بونابرت إلى اليهود. إشكالات... واعتبارات مُريبة، جريدة الحياة، لندن، ع12921، 20 يوليو / تموز 1998م، ص17؛
http://daharchives.alhayat.com/issue_archive/Hayat
(تاريخ المشاهدة والاطلاع: الأحد الموافق 13 ديسمبر / كانون الأول 2015م).
خيري منصور، وعد نابليون، جريدة الدستور الأردنية، ج1، ع16282، الأحد 22 نوفمبر / تشرين الثاني 2012م، ص20 ؛ ريجينا الشريف، الصهيونية غير اليهودية، ترجمة: أحمد عبد الله عبد العزيز، سلسلة عالم المعرفة (96)، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ديسمبر / كانون الأول 1985م ص73-74.

(43) Moses Hess; op, cit., p.150؛ بشارة خضر، مرجع سابق، ص108 ؛ شاكر نوري، اللوبي الصهيوني في فرنسا (من ثكنة عسكرية إلى كواليس الإليزيه)، بيروت، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، 2013م، ص36 ؛ ريجينا الشريف، مرجع سابق، ص77.

(44) بشارة خضر، مرجع سابق، ص108 ؛ شاكر نوري، مرجع سابق، ص36.

(45) عبد الوهاب المسيري، الأيديولوجية الصهيونية- دراسة حالة في علم اجتماع المعرفة، سلسلة عالم المعرفة (60)، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ديسمبر 1982م، ص103 وما بعدها.
وليس ببعيد عما ذكره المسيري، وفي السياق والتناول نفسه لمسألة ارتباط مجيء السيد المسيح التي يسبقها «عودة اليهود» إلى فلسطين، عرض كامل سعفان حول ذلك مقولات لمؤرخين

وكُتاب أمريكيين، منها ما قاله الأمريكي كارنس باس: «إن حدود الأرض الموعودة لإبراهيم ستعاد خلال العصر الألفي السعيد، وسيعود المسيح إلى مملكة سياسية ثيوقراطية قائمة على الأرض، ولها حكومة على غرار الحكومة الوطنية القائمة». كامل سعفان، مرجع سابق، ص199. وحول العلاقة بين الأصولية الإنجيلية والصهيونية ترى أحلام الصياد أن هناك تأثرًا مركبًا قائمًا بين المسيحيين البروتستانت واليهود، وهو تأثر لاهوتي وتاريخي وسياسي. أحلام الصياد، دور الأصولية الإنجيلية في نشأة الصهيونية والآثار المترتبة على ذلك، مصر، مجلة جامعة المنصورة، العدد 38، يناير / كانون ثان 2006م، ص673.

(46) ريجينا الشريف، مرجع سابق، ص77.

(47) يقول الأمريكي ديفيد أرنست ديوك عن القوة والاقتصادية لليهود في العالم منذ العصور الوسطى: «كان الربا المصدر الأكبر للقوة [المالية] اليهودية، وبالتأكيد ينبوع العائلات المصرفية اليهودية [كعائلة بيت روتشيلد التي أسسها مئير أمشل روتشيلد] التي هيمنت على أوروبا مئات السنين... وبينما تحرم تعاليم الدين اليهودي الربا بين الأخوة اليهود كممارسة ضارة، شجعت اليهود على الانخراط في الربا ضد غير اليهود. والمبدأ نفسه يمتد إلى كل منافسة اقتصادية بين اليهود وغير اليهود، فالفطنة المالية بالإضافة إلى تماسك المجموعة [اليهود] القوي، والإستراتيجية الاقتصادية وفرت أسلحة قوية في المعركة من أجل الهيمنة التجارية في أوروبا وفي ما بعد في أمريكا. والواقع أن اليهود مارسوا قواعد أخلاقية مزدوجة- غيرية في ما بينهم، ونهابة لغير اليهود- أسهمت في الهيمنة الاقتصادية حتى في مساعي العمل العادية». ديفيد ديوك، نزعة التفوق اليهودية (صحوتي على المسألة اليهودية)، ترجمة: حسام الدين خضور، تقديم: مازن الصباغ، دمشق، S.P.R Agency (الأكاديمية السورية الدولية للتدريب والتطوير)، 2006م، ص314.

(48) أمين عبد الله محمود، مرجع سابق، ص12-14.

(49) Moses Hess; op., cit., p.153 & what followed.

(50) Ibid., p. 35.

(51) جورج كورنيليان، في الزوايا خبايا - أو كشف أسرار اليهود، ترجمة: نجيب الحاج، تقديم: محمد صبري الدالي، سلسلة أوائل المطبوعات المصرية، ط3، القاهرة، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، 2014م، ص30-31.

(52) بشارة خضر، مرجع سابق، ص108.

(53) في ما يخص موقف العقيدة المسيحية الكاثوليكية من عودة اليهود لفلسطين، أفادت ريجينا الشريف بأن الزعم بعودة اليهود إلى ما يُدعى «وطنهم»، أي فلسطين، لا ينطبق إلا على الكنيسة المسيحية، فاليهود وفقًا للعقيدة الكاثوليكية الرسمية اقترفوا إثمًا فطردهم الله من فلسطين إلى بابل (النفي الأول)، وهم عندما أنكروا بأن عيسى عليه السلام هو المسيح المنتظر نفاهم الله ثانية

إلى بابل (النفي الثاني)، وبالتالي فوجود اليهود كأمة انتهى ولم يعد له وجود للأبد. ريجينا الشريف، مرجع سابق، ص21.

(54) أحلام إبراهيم الصياد، مرجع سابق، ص656.

(55) ريجينا الشريف، مرجع سابق، ص78.

(56) عبد العزيز سليمان نوار، محمود محمد جمال الدين، التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، القاهرة، دار الفكر العربي، 1999م، ص447.

(57) صحيفة العرب، 100 عام على الحرب العالمية الأولى ولا يزال التاريخ يستذكر الكارثة الأوروبية، لندن، السنة 36، ع9465، الاثنين 10 فبراير / شباط 2014م، ص6.

(58) صحيفة العرب، مرجع سابق، ص6 ؛ تاريخ العالم الحديث والمعاصر، جامعة القدس المفتوحة، عمان، منشورات جامعة القدس المفتوحة، 1997م، ص170-171؛

Boris L. Brazol; The World At The Cross Roads, Boston, Small, Maynard & Company Publishers,1921, p.51

(59) عبد العزيز سليمان نوار، محمود محمد جمال الدين، مرجع سابق، ص392.

(60) جفري براون، مرجع سابق، ص551.

(61) ديفيد ديوك، مرجع سابق، ص395.

(62) بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1989م، ج1، الجزائر، دار المعرفة، 2006م، ص161-163.

(63) ذكر «الشناوي» و«يحيى» أن النص صيغ في الأصل بالفرنسية، وأن ما ظهر بالإنجليزية ترجمات عن النص الأصلي. عبد العزيز محمد الشناوي، جلال يحيى، وثائق ونصوص التاريخ الحديث والمعاصر، القاهرة، دار المعارف، 1969م، ص116. وكذلك:

Fannie Fern Andrews; The Holy Land Under Mandate, Vo.II, Boston & New York, Houghton Mifflin CO., 1931, 50.

(64) تاريخ العالم الحديث والمعاصر(جامعة القدس المفتوحة)، مرجع سابق، ص181.

(65) المرجع السابق نفسه، ص186-189.

(66) عبد العزيز سليمان نوار، ومحمود محمد جمال الدين، مرجع سابق، ص474

(67) جون روز، مرجع سابق، ص171؛ ج.هـ جانسن، مرجع سابق، ص91.

(68) William B. Ziff; op., cit., p.56.

(69) ديفيد ديوك، مرجع سابق، ص395.

(70) هنري لورانس، مسألة فلسطين، م1، الكتاب2، مرجع سابق، ص90.

(71) روجر أوين، تاريخ فلسطين الاقتصادي في القرن التاسع عشر، ترجمة: يوسف شبل، في: الموسوعة الفلسطينية، م1، القسم الثاني (الدراسات الجغرافية)، بيروت، هيئة الموسوعة

الفلسطينية، 1990م، ص571؛ إسحق يعقوب القطب، التركيب الاجتماعي للشعب الفلسطيني، الموسوعة الفلسطينية، م1، القسم الثاني (الدراسات الجغرافية والاقتصادية)، بيروت، هيئة الموسوعة الفلسطينية، 1990م، ص411.

(72) بيان نويهض الحوت، مرجع سابق، ص408؛ محمد رجائي ريان، القدس في العهد العثماني 1516-1917م، في كتاب: القدس عبر العصور، فلسطين، مطبوعات ومنشورات جامعة القدس المفتوحة، الطبعة التجريبية، دون تاريخ نشر، ص593؛ عبد العزيز محمد عوض، مرجع سابق، ص61-62 .

(73) بشارة خضر، مرجع سابق، ص143.

(74) جون روز، مرجع سابق، ص29-30؛ حسام حسين حنودة، فلسطين في الفكر الاستعماري الصهيوني، في كتاب: دراسات في تاريخ فلسطين، ط2، (خان يونس/فلسطين)، مكتبة ومطبعة حمودة، 2015م، ص116.

(75) ثيودور هرتزل، الدولة اليهودية، ترجمة: محمد يوسف عدس، مراجعة: عادل حسن غنيم، القاهرة، دار الزهراء للنشر، 1994م، ص65.

(76) جون روز، مرجع سابق، ص29-30.

(77) هنري لورانس، مسألة فلسطين، م1، الكتاب2، مرجع سابق، ص84.

(78) عبد الوهاب المسيري، الأيديولوجية الصهيونية، ج1، مرجع سابق، ص227.

(79) حول تجاهل نص تصريح بلفور لذكر العرب بشكل صريح، وتناقض ذلك مع الواقع الديمغرافي في فلسطين، انظر: هنري كتن، قضية فلسطين، ترجمة: رشدي الأشهب، السلطة الوطنية الفلسطينية، مطبوعات وزارة الثقافة، 1999م، ص29-32؛ فلسطين تاريخها وقضيتها، مرجع سابق، ص53؛ رفيق المصري ويوسف الزاملي وآخرون، مرجع سابق، ص36-37.

(80) باميلا آن سميت، فلسطين والفلسطينيون 1876- 1983، ترجمة إلهام بشارة الخوري، دمشق، دار الحصاد، 1991م، ص58.

(81) بشارة خضر مرجع سابق، ص145.

(82) أحمد سعيد نوفل، مرجع سابق، ص164- 166.

(83) أجرى الباحث بعض تعديلات في الترجمة العربية التي عرضها أبو القاسم سعد الله وغيره، وبما لا يخل بالمعنى والمضمون.

(84) أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق،

http://www.attarikh-alarabi.ma/Html/adad7partie8.htm

نقلًا عن: الأرشيف السياسي بوزارة الخارجية الفرنسية- باريس ؛ هنري لورانس، مسألة فلسطين، م1، الكتاب2، ص136.

(85) ج. هـ جانس، مرجع سابق، ص109.

(86) C. Jay Smith, Jr.; The Russian ruggle For Power, 1914-1917 (A Study Of Russian Foreign Policy During The First World War), New York, Philosophical Library, 1956, p.360;

خالد صافي، مرجع سابق، ص24؛ باميلا آن سميث، مرجع سابق، (خريطة2)، ص48.

(87) جورج أنطونيوس، يقظة العرب (تاريخ حركة القوميين العرب)، ط8، ترجمة: ناصر الدين الأسد وإحسان عباس، بيروت، دار العلم للملايين، 1987م، ص352.

(88) صبري جريس، ج1، مرجع سابق، ص285-289 ؛ Alan R. Taylor; op., cit., p.21-23.

جاء تصريح البريطاني آرثر جيمس بلفور الصادر بتاريخ 2 نوفمبر / تشرين الثاني 1917م، أكثر صراحة ووضوحًا من تصريح الفرنسي جول كامبون؛ فتصريح بلفور نص على «إقامة وطن قومي لليهود» في فلسطين، بينما نص كامبون على ما يُسمى «إحياء اليهودية وبعثها في فلسطين».

*

معهد البحوث والدراسات العربية
INSTITUTE OF THE ARAB RESEARCH AND STUDIES
مكتب الدراسات التاريخية

المصادر والمراجع

أولًا- باللغة العربية:

1- إبراهيم يوسف عبيد، فلسطين في أواخر العهد العثماني، في كتاب: دراسات في تاريخ فلسطين، ط2، خان يونس (فلسطين)، مكتبة ومطبعة حمودة، 2015م.

2- أحلام الصياد، دور الأصولية الإنجيلية في نشأة الصهيونية والآثار المترتبة على ذلك، مصر، مجلة جامعة المنصورة، العدد 38، يناير / كانون ثان 2006م.

3- أحمد سوسة، أبحاث في اليهودية والصهيونية، الأردن، دار الأمل للنشر والتوزيع، 2003م.

4- إسحق يعقوب القطب، التركيب الاجتماعي للشعب الفلسطيني، الموسوعة الفلسطينية، م1، القسم الثاني (الدراسات الجغرافية والاقتصادية)، بيروت، هيئة الموسوعة الفلسطينية، 1990م.

5- أمين عبد الله محمود، مشاريع الاستيطان اليهودي منذ قيام الثورة الفرنسية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، سلسلة عالم المعرفة (74)، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، فبراير 1984م.

6- باميلا آن سميت، فلسطين والفلسطينيون 1876-1983، ترجمة إلهام بشارة الخوري، دمشق، دار الحصاد، 1991م.

7- بشارة خضر، أوروبا وفلسطين من الحروب الصليبية حتى اليوم، ترجمة: منصور القاضي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2003م.

8- بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1989م، ج1، الجزائر، دار المعرفة، 2006م.

9- بشير موسى نافع، الإمبريالية والصهيونية والقضية الفلسطينية، القاهرة، دار الشروق، 1990م.

10- تاريخ العالم الحديث والمعاصر، جامعة القدس المفتوحة، عمان، منشورات جامعة القدس المفتوحة، 1997م.

11- ثيودور هرتزل، الدولة اليهودية، ترجمة: محمد يوسف عدس، مراجعة: عادل حسن غنيم، القاهرة، دار الزهراء للنشر، 1994م.

12- ج. هـ جانس، الصهيونية وإسرائيل وآسيا، ترجمة: راشد حميد، بيروت، مركز أبحاث منظمة التحرير الفلسطينية، 1972م.

13- جفري براون، تاريخ أوروبا الحديث، ترجمة: علي المرزوقي، عمان، الأهلية للنشر والتوزيع، 2006م.

14- جورج أنطونيوس، يقظة العرب (تاريخ حركة القوميين العرب)، ط8، ترجمة: ناصر الدين الأسد وإحسان عباس، بيروت، دار العلم للملايين، 1987م.

15- جورج كورنيليان، في الزوايا خبايا - أو كشف أسرار اليهود، ترجمة: نجيب الحاج، تقديم: محمد صبري الدالي، سلسلة أوائل المطبوعات المصرية، ط3، القاهرة، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، 2014م.

16- جون روز، أساطير الصهيونية، ترجمة: قاسم عبده قاسم، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، 2006م.
17- جوني منصور (مؤرخ فلسطيني)، تصريح بلفور الخطوة الأولى نحو بناء دولة يهودية وظيفية، مدونته الإلكترونية الخاصة به على الإنترنت. http://first-historian.blogspot.com/2013/04/blog-post_434.html
18- حسام حسين حنودة، فلسطين في الفكر الاستعماري الصهيوني، في كتاب: دراسات في تاريخ فلسطين، ط2، (خان يونس/فلسطين)، مكتبة ومطبعة حمودة، 2015م.
19- الحسيني الحسيني معدي، مذكرات حاييم وايزمان، القاهرة، دار الخلود للنشر، 2015م.
20- خالد صافي، فلسطين خلال الحكم العثماني (1516-1918م)، في كتاب: قضايا مختارة في الدراسات الفلسطينية، ط1، خان يونس (فلسطين)، مكتبة ومطبعة حمودة، 2012م.
21- خليل إينالجيك، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، ترجمة: محمد م. الأرناؤط، بيروت، دار المدار الإسلامي، 2002م.
22- خيري منصور، وعد نابليون، جريدة الدستور الأردنية، ج1، ع16282، الأحد 22 نوفمبر / تشرين الثاني 2012م.
23- الدورية الإلكترونية الفرنسية - الإسرائيلية المشتركة، نظرة أخرى على الشرق الأوسط، مرسيليا، ع4، الاثنين 26 سبتمبر 2011م.
24- ديفيد ديوك، نزعة التفوق اليهودية (صحوتي على المسألة اليهودية)، ترجمة: حسام الدين خضور، تقديم: مازن الصباغ، دمشق، S.P.R Agency (الأكاديمية السورية الدولية للتدريب والتطوير)، 2006م.
25- رفيق محمود المصري ويوسف الزاملي وآخرون، (فلسطين تاريخ وقضية)، غزة (فلسطين)، هيئة الكتاب الجامعي بجامعة الأقصى، 2005م.
26- روجر أوين، تاريخ فلسطين الاقتصادي في القرن التاسع عشر، ترجمة: يوسف شبل، في: الموسوعة الفلسطينية، م1، القسم الثاني (الدراسات الجغرافية)، بيروت، هيئة الموسوعة الفلسطينية، 1990م.
27- ريجينا الشريف، الصهيونية غير اليهودية، ترجمة: أحمد عبد الله عبد العزيز، سلسلة عالم المعرفة (96)، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ديسمبر/كانون الأول 1985م.
28- سليمان الشيخ، بونابرت (هل وعد اليهود بفلسطين قبل بلفور)، جريدة المستقبل اللبنانية، ع5250، الاثنين، 29 ديسمبر / كانون الأول 2014م.
29- شاكر نوري، اللوبي الصهيوني في فرنسا (من ثكنة عسكرية إلى كواليس الإليزيه)، بيروت، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، 2013م.

30- صبري جريس، تاريخ الصهيونية 1862-1917م، ج1 (التسلل الصهيوني إلى فلسطين 1862-1917)، القدس، دون دار نشر، 1987م.
31- صحيفة العرب، 100 عام على الحرب العالمية الأولى ولا يزال التاريخ يستذكر الكارثة الأوروبية، لندن، السنة 36، ع9465، الاثنين 10 فبراير / شباط 2014م.
32- عادل مناع، تاريخ فلسطين في أواخر العهد العثماني (1700-1918 قراءة جديدة)، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1999م.
33- عبد العزيز سليمان نوار، محمود محمد جمال الدين، التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، القاهرة، دار الفكر العربي، 1999م.
34- عبد العزيز محمد الشناوي، جلال يحيى، وثائق ونصوص التاريخ الحديث والمعاصر، القاهرة، دار المعارف، 1969م.
35- عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، ط10، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات، 1990.
36- عبد الوهاب المسيري، الأيديولوجية الصهيونية- دراسة حالة في علم اجتماع المعرفة، سلسلة عالم المعرفة (60)، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ديسمبر 1982م.
37- ـــــــــــ، اليهود واليهودية والصهيونية، م2، ط3، القاهرة، دار الشروق، 2006م.
38- علي المحجوبي، جذور الاستعمار الصهيوني بفلسطين، تونس، دار سراس للنشر، المعهد الأعلى للتربية والتكوين المستمر، 1995م.
39- عيسى السفري، فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية، الكتاب1، يافا، مكتبة فلسطين الحديثة، 1937م.
40- أبو القاسم سعد الله، التصريحات الفرنسية الموالية للصهيونية (1917-1918)، مجلة التاريخ العربي، ع7، جمعية المؤرخين المغاربة. موقع المجلة الإلكتروني .http://www.attarikh-alarabi ma /Html/adad7partie8.htm (تاريخ المشاهدة والاطلاع: الخميس 19 مايو / أيار 2016م).
41- كامل سعفان، اليهود من سراديب الجيتو إلى مقاصير الفاتيكان، القاهرة، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، دون تاريخ نشر.
42- محمد حافظ يعقوب، المئوية الثانية للحملة الفرنسية على مصر. نص نداء نابليون بونابرت إلى اليهود. إشكالات... واعتبارات مُريبة، جريدة الحياة، لندن، ع12921، 20 يوليو/تموز 1998م. http://daharchives.alhayat.com/issue_archive/Hayat (تاريخ المشاهدة والاطلاع: الأحد الموافق 13 ديسمبر / كانون الأول 2015م).
43- محمد رجائي ريان، القدس في العهد العثماني 1516-1917م، في كتاب: القدس عبر العصور، فلسطين، مطبوعات ومنشورات جامعة القدس المفتوحة، الطبعة التجريبية، دون تاريخ نشر.
44- محمد صبري الدالي، القوى الأوروبية الكبرى والصراع الروسي العثماني، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 2014م.

45- هنري كتن، قضية فلسطين، ترجمة: رشدي الأشهب، السلطة الوطنية الفلسطينية، مطبوعات وزارة الثقافة، 1999م.
46- هنري لورانس، الأرشيف السياسي بوزارة الخارجية الفرنسية - باريس؛ مسألة فلسطين، م1، الكتاب2.
47- ـــــــــــ، بونابرت والإسلام والدولة اليهودية، ترجمة: بشير السباعي، القاهرة، دار مصر العربية للنشر والتوزيع، 1998م.
48- ـــــــــــ، مسألة فلسطين (اختراع الأرض المقدسة - أصل فلسطين ما تحت الانتداب)، م1، الكتاب الثاني، 1914-1922، ترجمة: بشير السباعي، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، 2006م.

ثانيًا- باللغة الأجنبية:

1- Alan R. Taylor; Prelude to Israel, New York, Philosophical Library, 1959.
2- Boris L. Brazol; The World At The Cross Roads, Boston, Small, Maynard & Company Publishers,1921.
3- C. Jay Smith, Jr.; The Russian ruggle For Power, 1914-1917 (A Study Of Russian Foreign Policy During The First World War), New York, Philosophical Library, 1956.
4- David H. Popper; The Puzzle of Palestine, New York, Foreign Policy Association, 1938.
5- David M. Stamler; Jewish Interests in Palestine, In The Book: Ackdrop to Tragedy, U.S.A., Beacon Press, 1957.
6- Dorothy F. Zeligs; The Story of Modern Palestine, New York, Bloch Pub. Co., 1940.
7- Fannie Fern Andrews; The Holy Land Under Mandate, Vo.II, Boston & New York, Houghton Mifflin CO., 1931.
8- Henriette H. Bodenheimer; To Israel, New York, A.S. Barnes & Company, Inc., 1963.
9- Herbert Parzen; A Short History Of Zionism, New York, Herzl Press, 1962.
10- Herbert Sidebotham; England And Palestine, Essays Towards The Restoration of The Jewish State, London, Constable And Company Ltd., 1918.
11- Jessie E. Sampter; A Guide to Zionism, New York, Zionist Organization Of America, 1920.
12- Juels Cambon (French diplomat); Encyclopedia Britannica, School And Library Subscribers. https://www.britannica.com/biography/Jules-Cambon.
13- Moses Hess: Rome & Jerusalem (A Study In Jewish Nationalism), Translated From The German; Meyer Waxman. New York, Bloch Publishing Company, 1918.
14- Nahum Sokolow; History Of Zionism 1600-1918, Introduction By: A,J,Balfour, M.P., Vol.2, London, Longmans, Green & co., 1919.

15- Nevill Barbour; Palestine: Star Or Crescent, New York, The Odyssey Press, 1947.
16- Spencer C. Tucker: World War1 (The Definitive Encyclopedia And Collection), Foreword: Holger H. Herwig, Vol.1 A-C, ABC-CLIO, Oxford-England, 2014. https://books.google.ps/books?id=DBwTBQAAQBAJ&pg=PA327&lpg=PA327
17- Sulamith Ish-Kishor; Everyman's History Of The Jews, New York, Frederick Fell, 1948.
18- Un autre regard sur le Proche-Orient, Bulletin Internet de France-Israël Marseille, Section de Marseille de l'Association France-Israël, Alliance général Koenig, Numéro 4, Lundi 26 septembre 2011.
19- William B. Ziff; The Rape of Palestine, New York, Longmans Green & Co., 1938.

● ○ ●